روايات تيوليب للجيب
(٣) نصف ملاك
رباب فؤاد

روايات تيوليب، العدد الثالث
نصف ملاك... رباب فؤاد
الطبعة الأولى يوليو ٢٠١٤
الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٤
تصميم الغلاف : م. دعاء عبد اللطيف
تنسيق وتدقيق لغوي : رباب الشهاوي
المدير العام : رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٤/١٤٣٩٢

سلسلة تيوليب عربية مائة في المائة ولا تشوبها شبهة الترجمة أو النقل. تصدر بشكل دوري عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع.

Alfouad_publishing@hotmail.com





روايات تيوليب للجيب

(٣)

نصف ملاك

رباب فؤاد





(١)

ارتفع دوي صفارة الإسعاف يشق سكون ليل الشتاء، ليندمج صوتها مع صوت احتكاك عجلات السيارة وهي تتوقف أمام إحدى المستشفيات الخاصة ويسرع المسعفان لفتح الباب الخلفي وإخراج الجسد المسجى داخله.

وسرعان ما كان ذات الجسد ينتقل إلى غرفة الطوارئ لتفحصه طبيبة شابة وهي تستقي المعلومات الهامة من المسعف الذي وقف يراقب الجسد الضعيف وهو يلهث قائلاً -"أخبرونا أنها سقطت عن درج المنزل، وأنها ربما أجهضت طفلها. فهي تنزف بالفعل".

أومأت الطبيبة برأسها وهي تفحص المريضة بجهاز الموجات الصوتية (السونار) باهتمام وتقول بقلق -" إنها تفقد الجنين بالفعل".

وبأعلى صوتها هتفت آمرة -" اتصلوا بدكتور (ماهر) فوراً".

غمغمت الممرضة إلى جانبها بتوتر -" ل..لقد انتهت مناوبته قبل قليل.. وربما غادر المستشفى".

هتفت بها في قوة -"أسرعي باستدعائه بأي وسيلة. فهو

طبيب النساء والتوليد الوحيد بالمستشفى الآن. هيا تحركي".
اختفت الممرضة من أمامها لتلحظ هي الكدمات المخيفة التي تلونت على جلد المريضة لتوحي بانزلاق قوي على درجات السلم.

أو ربما بضرب عنيف!!!

عقدت حاجبيها وهي تواصل الفحص من خلف ستار يحمي خصوصية المريضة، قبل أن توجه سؤالها للمسعف الذي ظل واقفاً بالقرب من الباب -"هل أنت متأكد من أنها سقطت عن درج المنزل"؟

هز كتفيه في حيرة قائلاً -" هكذا أخبرتني أسرتها. على أي حال سرعان ما سيأتون إلى المستشفى. فالمنزل ليس بعيداً عن هنا".

مطت شفتيها بعدم اقتناع، ثم تمتمت -"حسناً. اترك بياناتك بالخارج لأنني غالباً سأحتاج إليك ثانية".

ثم اتبعت بهدوء -"يمكنك الانصراف الآن إذا شئت".

وعادت تفحص مريضتها.

****

(٢)

خلع عنه ملابسه المعقمة وهو يخرج من غرفة العمليات وقد أعاد الإرهاق رسم ملامح وجهه ليفقده الكثير من وسامته.

فهو يعمل بشكل متواصل منذ ما يقرب من عشرين ساعة دون أن يحظ بساعة نوم مريحة. لذا اكتفى بالاطمئنان على المريضة وهو يمني نفسه ببعض النوم..حتى وإن كان في مكتبه.

لكن الرياح لا تأتي بما تشتهي السفن. فقد فوجئ بطبيبة الطوارئ الشابة في انتظاره والقلق واضح على محياها الرقيق وهي تبتدره متسائلة -"كيف حالها"؟

عقد حاجبيه دون تركيز لتتبع هي -"المريضة (ملاك) التي أجريت لها عملية الإجهاض قبل قليل.. كيف هي الآن؟"

حاول فتح عينيه على وسعهما ليبدو أكثر تركيزاً وهو يجيبها بروتينية -" آه نعم.. إنها بخير. لقد أفاقت وتم نقلها إلى غرفة خاصة".

قالت بلهجة من يبوح بسر خطير -"أشعر أن بالأمر ما يريب يا دكتور. فحينما كنت افحصها وجدت كدمات غريبة على جلد

بطنها. أهلها يقولون إنها سقطت عن درج المنزل لكني لا أصدق ذلك"

لمعت عيناه بالاهتمام وعقد حاجبيه متسائلاً -" ماذا تقصدين يا دكتورة (مها)؟"

مطت شفتيها قائلة -"إذا سقطت على وجهها فالكدمات ستنتشر على جسدها من الأمام، وربما وجهها أيضاً. أما إذا سقطت على ظهرها فستغطي الكدمات ظهرها وربما أصابت رأسها من الخلف".

أومأ برأسه موافقاً وهو ما زال يحاول استيعاب ما تقوله لتضيف هي بلهجة محققي الشرطة -"أما (ملاك) فلم أر الكدمات سوى على بطنها. لقد فحصتها جيداً قبل أن تدخل إلى غرفة العمليات ولم أجد أي دليل على سقوطها".

دعك جبهته بإرهاق وهو يسألها -" هل تقصدين أنها...".

لمعت عيناها بقوة وهي تجيبه بثقة -"أجل.. (ملاك) تعرضت لضرب وحشي بهدف إجهاض جنينها".

وهنا تبخر النوم تماماً وهو يدرك أنها ستكون ليلة طويلة.

****

(٣)

ارتفعت طرقات هادئـة علـى بـاب غرفتها أخرجتها مـن غفـوة خفيفة، وتهادى إليها صوت أمها يدعو الطارق للدخول فلم تأبـه بـه، لـولا أن صك مسامعها صوت رجولي واثق يقول برصانة -"صباح الخير يا سيدتي. أنا (ماهر فهمي) طبيب ابنتك المعالج".

سمعت والدتها تقول بترحيب -"مرحباً بك يا دكتور (ماهر). أردت الوصول إليك لشكرك بنفسي على إنقاذ حياة ابنتي".

منحها ابتسامة دبلوماسية وهو يجيب بهدوء -"لا شكر على واجب سيدتي. لم أفعل سوى واجبي".

ثم تنحنح وهو يوجه نظراته الصريحة نحو ابنتها قائلاً -"هل تسمحين لي بفحص المريضة؟"

حاولت أن تتظاهر بالنوم لكنها فتحت عينيها بقوة حينما أجابته والدتها بأريحية -"بالطبع يا دكتور. ها هي أمامك".

واجهتها ابتسامته الواسعة وهو يحمل ملفها ويطالعه قائلاً بود -"اسمك مميز للغاية سيدتي... لم أسمعه من قبل، وإلا ما فارق ذاكرتي".

أومأت برأسها وكأنها تشكره، رغم ما انتابها من ضجر لتكرار نفس الحديث عن اسمها المميز.

ويبدو أنه شعر بهذا الضجر، فحاول أن يكسب لهجته مهنيتها المعتادة وهو يتنحنح قائلاً -" حمدا لله على سلامتك سيدة (ملاك)... كدنا نفقدك بسبب النزيف. ولكن الله سلّم".

شكرته بخفوت هذه المرة وهي تحاول ألا تلتقي نظراتهما. ولكن عينيه لم تغفلا عن محاولتها ولا حركة يدها المرتبكة في حضنها.

تنحنح ثانية قبل أن يلقي سؤاله بشكل عارض قائلاً بغتة -"والآن هلا أخبرتني ما سبب الحادث؟ هل كان اعتداءاً جسدياً أم أنه مجرد حادث عارض؟"

شحب وجهها أكثر في حين أسرعت والدتها بإجابته قائلة -"لقد قلنا لكم بالأمس إن قدمها زلت وسقطت عن الدرج".

أدار عينيه إلى مريضته هامساً -"أهذا صحيح؟"

رفعت عينيها المضطربتين إليه للحظات قبل أن تهرب بنظراتها بعيداً ثانية وتتشاغل بترتيب خصلات شعرها الكستنائي خلف أذنها وهي تتمتم -"ب بالطبع صحيح. لقد

زلت قدمي وسقطت عن الدرج وفقدت وعيي. هذا ما حدث".
هز كتفيه في حيرة مصطنعة وهو يتعمد إرباكها أكثر قائلاً ـ"شيء غريب. يبدو أنك سقطت على بطنك فقط دوناً عن باقي جسدك، لأنه حسب فحص طبيبة الطوارئ لك أمس عند دخولك، كان جسدك خالياً من أي كدمات تؤكد روايتك. الكدمات تركزت على بطنك فقط".
جف حلقها ولم تستطع الرد، لتقول والدتها في سرعة ـ"ماذا تقصد؟ هل تُلمح إلى أننا نكذب بشأن الحادث؟"
رفع كفيه قائلاً ـ" حاش لله أن اتهمكم بالكذب".
ثم أتبع بحزم ـ" ولكن ابنتك يا سيدتي مسؤولة مني منذ دخلت هذا المستشفى، ليس بصفتي أحد الأطباء فحسب وإنما بصفتي شريك بالمستشفى. لذا فإنني المسؤول الأول عنها إذا حدث لها أي مكروه لا قدر الله".
أشاحت والدتها بوجهها بعيداً وهي تغمغم بإصرار ـ" لقد قلت لك ما حدث، ولن أزيد عنه حرفاً. لذا لا داعي للإلحاح. فأنت لست وكيل نيابة".
ضغط فكيه في غيظ، لكنه حافظ على هدوء صوته وهو يعود

ليرسم ابتسامته الدبلوماسية على وجهه قائلاً -"ربما لا أكون وكيل نيابة، لكن هذا لا ينفي أهمية أسئلتي وضرورة الإجابة عنها لصالح الجميع... طبياً وقانونياً. وقريباً سأعرف ما أريد".

ثم ما لبث أن أضاف بدماثة بدت جزءاً من شخصيته -"بإذنكما الآن، سأذهب لتفقد مرضاي وسيكون لنا لقاء آخر بالتأكيد. ومرة أخرى حمداً لله على سلامة ابنتك سيدتي".

قالها وانصرف في سرعة وبداخله أصبح الشك يقيناً بأن هناك ما تخفيه هذه الأم.

وازداد عزمه على كشفه.

****

(٤)

ـ"أخبرتك أنني على حق".

قالتها (مها) بلهجة ظافرة وهي تجلس أمامه في مكتبه تحتسي مشروباً دافئاً، بينما تراجع هو في مقعده الجلدي الفاخر ليقول ساهماً ـ"ترى ماذا تخفيان؟ ولماذا الإصرار على أن قدمها زلت فسقطت عن الدرج وكأن السقوط في حد ذاته أمر هين".

رفعت (مها) أحد حاجبيها قائلة بلهجة بوليسية ـ"الدي حدس ولكنني لا أريد قذف المحصنات".

اعتدل في مقعده في اهتمام جعلها تتابع بتردد ـ"ربما لم يكن حملاً شرعياً وحاول أهلها إجهاضه و...".

قاطعها في حدة ـ"كفى.. استغفر الله العظيم. لقد رأيت اثر خاتم الزواج في كفها أثناء العملية. واليوم أيضاً رأيته".

سألته بشك ـ"هل رأيته حقاً أم أنك تتخيل ذلك؟"

زمجر بها في حنق هاتفاً ـ"عودي إلى غرفتك يا (مها) ولا تنسي أنني نائب مدير المستشفى".

ضحكت بنعومة شقية وهي تقترب بوجهها منه عبر المكتب

قائلة -"ولا تنس أنني ابنة مدير المستشفى".
ضغط أسنانه بقوة لتضحك هي ثانية وهي تنهض من مقعدها قائلة -"رويدك وإلا ستستحق أسنانك يوماً. أعتذر عن افتراضي الذي ضايقك، فأنا لا أستسيغه أيضاً. إنها تبدو محترمة وأسرتها كذلك، ولكن لابد وأنهم يخفون أمراً ما ولا يريدون الاعتراف بالحقيقة. ربما لحماية أحدهم أو..".
قاطعها وهو يقول في حماس -"الدي فكرة. استدرجي والدتها لخارج الغرفة ريثما أتحدث أنا مع (ملاك) لأعرف الحقيقة".
عقدت ذراعيها أمام صدرها وهي تقول بغيظ -"ولماذا لا تستدرج أنت الأم وتترك لي (ملاك)"؟
عاد يزمجر في حنق لتقول في سرعة -"حسناً حسناً... سأذهب لأستدرج والدتها بعيداً. ولكن لا تتأخر في الحديث مع مريضتك الغامضة. أخشى أن تكشفني والدتها وحينها لن أستطيع الكذب. سأعترف مع أول نظرة ريبة منها".
منحها ابتسامة جانبية وهو يربت على كتفها قائلاً بثقة -"كنت أعلم أن خلفي رجال".
وكان يعلم كم تثير حماسها هذه الجملة.

(٥)

حاولت الاسترخاء في فراشها بعد خروج والدتها بصحبة تلك الطبيبة الرقيقة.. شكلها يبدو مألوفاً لكنها لا تدري أين رأتها من قبل.

حدثتها نفسها "ربما رأيتها في الجامعة.. فأعماركما متقاربة"

لكنها عادت فهزت رأسها لتنفي الفكرة. فهذه الملامح مألوفة أكثر مما ينبغي.. إنها تشبه شخصاً ما بنفس العينين الناعستين والوجه البيضاوي والشفاه الرقيقة..حتى نفس النظارة الطبية... يا إلهي من تشبه؟

زفرت في قوة لتتخلص من ثرثارها الذي يطرح الأسئلة ويمنعها من الاسترخاء، حينما أجفلها طرق خفيف على الباب.

اعتدلت في فراشها في اللحظة التي فُتح فيها الباب ليكشف خلفه النسخة المذكرة من تلك الملامح التي كانت تشغل مخيلتها في الدقائق الماضية.. الفارق الوحيد بينهما أن هذه النسخة تتهدل خصلات شعرها الفاحم بعفوية جذابة، بينما

تخفي الأخرى شعرها تحت حجاب أنيق محتشم.
خرجت من تأملاتها على ابتسامته الهادئة وهو يقول -"معذرة لعودتي.. لكننا لم ننه حديثنا".
عقدت حاجبيها وهي تسأله بشيء من الحدة -"أي حديث تقصد؟"
قالتها وهي تنتبه للممرضة التي دخلت خلفه قبل أن تغلق الباب، في اللحظة التي أجابها فيها قائلاً بهدوء بدا مستفزاً -"بشأن ما أصابك يا سيدتي. لقد أخبرتني شيئاً ولم أقتنع به. والآن إما أن تقولي شيئاً يقنع طبيباً عنيداً مثلي أو تقولي الحقيقة".
هتفت بحدة حقيقية -"بأي صفة تأمرني بالحديث؟ لقد أديت واجبك كطبيب وشكرناك وانتهى الأمر. ولست مطالبة بتبرير ما حدث لأي شخص أياً كان".
وضع كفيه في جيبي معطفه الأبيض وهو يقول بنفس الهدوء -"أنت بالفعل لست مطالبة بتبرير ما حدث لي. ولكن حينها ستشرحين للشرطة كل ما حدث بأدق التفاصيل. وبعد عرضك على الطب الشرعي سيكتشفون الحقيقة بكل سهولة".

هتفت بحنق ـ"ماذا تريد؟ ولماذا تهتم بمعرفة الحقيقة وكأن حياتك تتوقف عليها؟ لماذا لا تدع الأمور تمر بسلام ؟"

أجابها بحزم ـ"لأن ما حدث معك جريمة يعاقب عليها القانون. الإجهاض بهذا الشكل الوحشي وإزهاق روح لم تولد بعد وحياتك التي كانت ستنتهي فجر اليوم بسبب شدة النزيف وندرة فصيلة دمك... كل هذا يستدعي معرفة المتوحش الذي فعل ذلك بك ومعاقبته على فعلته".

ثم أخذ شهيقاً عميقاً زفره ببطء ليهدئ أعصابه تحت نظراتها المصدومة، ثم تابع يسألها بهدوء ـ"من فعل بك هذا ولماذا؟ أهم أهلك؟ إنك لا ترتدين خاتم الزواج و...".

احتقن وجهها في شدة وقاطعته هاتفة بحدة ـ"ماذا تقصد؟ لقد كنت متزوجة من والد الطفل، ولن أسمح لك بالتشكيك في شرفي".

تنهد بارتياح قبل أن يسأل ثانية ـ"أهو زوجك من فعل هذا؟"

أشاحت بوجهها بعيداً وهي تغمغم ـ"ليس من شأنك".

تحرك ليقف أمامها قائلاً بإصرار ـ" بل شأني. فالقضية لم تنته عند اعترافك بأنك كنت متزوجة. ما زلت لا أعرف كيف

ولماذا فقدت الطفل؟ ولماذا تصرين على إخفاء...".

قاطعته هاتفة بعصبية ـ"لأنني أنا من أجهضت الجنين".

وكانت دهشته عارمة.

****

(٦)

جلس يوقع بعض ملفات المرضى بطريقة روتينية بينما يحتسي شرابه الدافئ علـه يبعث الدفء في أوصاله، حينما انتفض في مقعده فجأة واعتدل ليدقق النظر في اسم صاحبة الملف... (ملاك عبد الرحمن).

لم تكن انتفاضته بسبب اسم مريضته الغامضة، وإنما بسبب تاريخ المغادرة المكتوب بالملف إلى جانب توقيع الدكتورة (مها).

شعر بالدماء تغلي في رأسه فالتقط هاتفه المحمول ليضرب رقمها المختصر في عصبية، ولم يكد يسمع صوتها عبر الأثير حتى هتف بها في شراسة -"أريدك في مكتبي فوراً".

قالها وهو ينهي الاتصال بعنف غريب عليه.

عاد ينظر إلى الملف ويجز أسنانه في غضب لا يدري منبعه.

أهو غاضب لأنها غادرت دون أن يراها ثانية؟ أم لأنه لم يسبر أغوار غموضها بعد؟

ففي ذلك اليوم، لم تكد تلقي بقنبلتها في وجهه حتى اهتز هاتفه في جيبه معلناً وصول رسالة نصية من (مها) تحذره

فيها من تململ والدة (ملاك).
لم يسعه الوقت سوى لالتقاط هاتفها المجاور بشكل مباغت، وقبل أن تعترض كان يتصل بهاتفه من هاتفها قبل أن يقطع الاتصال ويقول لها في سرعة وهو يستعد لمغادرة الغرفة -"أحفظي رقمي لديك، وسأعاود الاتصال بك. فحديثنا لم ينته بعد".
لكنها غادرت للأسف قبل أن يتمكن من إتمام حديثهما.
زفر في غيظ وهو يلتقط هاتفه ليتصل بها، لكن وصلته الرسالة العقيمة المعتادة "الهاتف مغلق أو خارج نطاق التغطية".
زفر ثانية وهم بإلقاء الهاتف بعصبية حينما ارتفعت طرقات سريعة على الباب أعقبها دخول (مها) المتوتر وهي تسأله بقلق -"خيراً يا دكتور (ماهر)؟ ما الأمر؟"
أشار إلى ملف (ملاك) هاتفاً -"كيف وافقت على خروج (ملاك عبد الرحمن)؟ أنا لم أسمح بذلك".
هزت كتفيها قائلة في بساطة -"لقد ارتفعت نسبة الهيموجلوبين في دمها بعد ما تلقته من دماء جديدة، ولا

يوجد لديها جروح تستدعي البقاء. حوادث الإجهاض غالباً ما تغادر سريعاً وهي...".

قاطعها بعناد -"لكنني لم أفحصها. أنا طبيبها المعالج و...".

قاطعته هي هذه المرة قائلة بثقة -"وأنا الطبيبة التي استقبلتها وأعرف جيداً كيف كانت تبدو حينما وصلت إلى المستشفى. طبياً لم يعد هناك داع لبقائها. كما أن والدتها أصرت على رحيلهما طالما تعافت ابنتها. ولا تنس أننا مستشفى خاص وقياس الحرارة هنا بثمن".

ثم أردفت بلهجة خاصة -"كما أنك لم تكن متاحاً بالأمس لأستشيرك في أمر خروج مريضتك".

عقد حاجبيه مغمغماً -"لقد كنت بحاجة إلى الاسترخاء بعد أسبوع عمل مرهق".

هزت رأسها بسخرية قائلة -"أجل ولهذا سافرت لتسترخي في العين السخنة".

زمجر من بين أسنانه قائلاً -"عودي إلى مرضاك أو أياً ما كنت تفعليه قبل أن تأتيني. فمنذ رأيت فعلتك هذه والدماء تغلي بعروقي".

عقدت حاجبيها في جدية هذه المرة وهي تسأله -"(ماهر) هل أنت جاد؟ إنها المرة الأولى التي تهتم فيها بمريضة إلى هذا الحد، ناهيك عن كونها متزوجة، أو يُفترض أنها كذلك. ماذا دهاك؟"

تأملها قليلاً في صمت وصورة تلك الملاك تقفز أمام عينيه، بكل ما فيها من هدوء وجمال وبراءة، بشعرها الكستنائي المتناثر بفوضوية حول وجهها المستدير الشاحب وعينيها اللوزيتين اللتان اختلط فيهما لون العسل بدرجات الأخضر الفاتح في مزيج مبهر ووجنتيها المكتنزتين كطفلة بريئة تزين أحداهما غمازة شقية...

كانت اسماً على مسمى بالفعل و..

هز رأسه ليمحو صورتها من عينيه وهو يجيب (مها) بصوت أجش رغماً عنه -"عودي إلى عملك يا دكتورة (مها). وسأعود لعملي أنا الآخر".

وظل سؤالها معلقاً دون جواب

ماذا دهاه؟؟

****

(٧)

دلف إلى مكتبه في إرهاق وهو يمني نفسه ببعض الراحة على أريكته الجلدية قبل أن يستدعوه لحالة طارئة جديدة.

لكن كل أفكاره تجمدت في رأسه وهو يلمح هذا الطيف الرقيق الذي يجلس أمام مكتبه مولياً ظهره للباب.

تنحنح بخفوت خشية أن يختفي الطيف، ولدهشته فقد التفت الطيف_ أو بالأحرى_ صاحبة الطيف ونهضت على استحياء مغمغمة في حرج -"أعتذر لدخول مكتبك في غيابك. لقد أرشدتني الممرضة إليه وطلبت مني انتظار عودتك و...".

بترت عبارتها في تردد وعضت شفتها السفلى وهي تخفض وجهها أرضاً في خجل أدهشه للحظات.

لكنه سرعان ما تغلب على دهشته وهو يقترب منها هاتفاً بلهفة غريبة -"أين اختفيتِ؟ ولماذا أغلقت هاتفك؟"

رفعت إليه عينين متسعتين من الدهشة، فتنحنح ثانية في حرج قائلاً -"تقبلي اعتذاري. لقد ضايقني خروجك دون أن أطمئن بنفسي على حالتك كعادتي مع مرضاي، لذا...".

بتر عبارته ليتنحنح ثانية ويتجه للجلوس خلف مكتبه محاولاً

استعادة هيبتـه كطبيـب متمـرس ولـيس مراهق أهوج يسـبق لسانه تفكيره.

تنهـدت بـبطء لتسـتعيد هـدوءها بعـد تسـاؤله الـذي أربكهـا، وعادت تجلس أمام المكتب قائلة بتردد ـ"لقد أتيت لكي... لكي أراجع طبيبي واسأله متى يمكنني العودة لحياتي الطبيعية؟"

شعر بالاختنـاق من سؤالها فسعل ليتخلص من غصة غبيـة استحكمت حلقه قبل أن يجيبهـا ـ"هذا يتوقف على المقصود بحياتك الطبيعية".

فركت كفيها بتوتر قبل أن تقول بخفوت ـ"حياتي التـي نسيتها منذ تزوجته".

اعتدل أكثر في مقعده وقد ارتسم التساؤل علـى ملامحـه كلهـا، وفي عينيـه تحديداً، فـازدردت لعابهـا وهـي تتبـع فـي ألـم ـ"لم أحضر اليوم لمراجعتك كما قلت، وإنما لتبرئـة سـاحتي أمامـك. فحينما أخبرتك الحقيقة في غرفتي ذلك اليوم رأيت فـي عينيـك نظرة استنكار قوية لم أحتملها. فأنا لست قاتلة".

أربكته نبرة الألم في صوتها وحاول تبرير نظراتـه تلك حينمـا تابعت هـي سريعاً ـ" مـا من امرأة عاقلـة تفرط فـي جنينهـا

طواعية، أياً كان والده. وأعتقد أنني استطعت الحفاظ على عقلي سليماً رغم كل ما مررت به خلال العام الماضي".

وجد صوته أخيراً ليقول بأسف ـ"مدام (ملاك)..أنا..".

قاطعته بإشارة من كفها وهي تقول بارتجافة لم تخف عليه ـ"جنيني كان ميتاً بداخلي. توقفت حركته فجأة منذ أسبوع. ورغم انتظاري له على أمل أن يخفف من الجحيم الذي أعيشه، راودني شعور غريب بالراحة وأنا أتوقع موته. فلم أكن أريد ما يربطني بزوجي. وبالتأكيد لم أكن أريد لإبني أباً مثله".

ثم عدلت خصلات شعرها خلف أذنها لتخفي رجفة كفها وهي تردف ـ" أخبرتني الطبيبة هاتفياً باحتمال موت الجنين، وضرورة التخلص منه قبل أن يؤذيني ذلك. لكنني لم أخبر زوجي. طلبت منه الذهاب إلى منزل أهلي استعداداً للولادة رغم أنني كنت في شهري السابع، وهناك هددته بقتل الجنين إذا لم يطلقني، وبدأت بالفعل في ضرب بطني في حافة المائدة حتى أذعن لطلبي وطلقني متخيلاً بذلك أنه ينقذ طفله. وما أن غادر المنزل حتى فقدت وعيي لأفيق على صوتك في غرفة

الإفاقة هنا".

شعر بصدمة تخرسه من هول ما ألقته على مسامعه للتو. فهذه الملاك الرقيقة الهشة التي لا تستطيع أن تؤذي فراشة أوشكت على قتل نفسها فقط لتتخلص من زوج مزعج.

تنحنح أخيراً ليقول بهدوء -"يبدو أنك عانيت الكثير حتى يصبح الموت أفضل من الحياة بالنسبة لك".

أومأت برأسها في صمت، قبل أن تزيد من دهشته وهي تقول بثبات غريب -"لذا أريد منك مساعدتي في استعادة حياتي القديمة قبل زواجي. أريد التخلص من هذا الماضي وكأنه لم يكن. ساعدني في العثور على طبيب نفسي لينتشلني من حالة السوداوية المهيمنة على عقلي. يكفيني ألم فقدان طفلي بعدما أوشكت على حمله بين ذراعي. أما الباقي فأريد التخلص منه كأنه لم يكن".

تنهد في عمق وهو يتأملها صامتاً قبل أن تشق الابتسامة وجهه وهو يعدها -"حسناً.. أعدك بالمساعدة".

وكان صادقاً في وعده.

****

(٨)

حملت أحد الملفات الطبية واتجهت في همة إلى حيث مكتبه، فطرقت الباب ودلفت إليه دون أن تنتظر إذنه لتجده يهم بالخروج حاملاً حقيبة بلاستيكية تعرفها جيداً فرفعت حاجبيها قبل أن تقول بلهجة ماكرة -"أها.. الطبيب الهمام في طريقه لتناول الغذاء بالخارج...كالعادة".

زفر في ضيق وهو يرمقها بصرامة قائلاً -"ماذا تريدين أيتها المزعجة؟"

رفعت الملف أمام عينيه قائلة ببساطة -"أريد رأيك في هذا الحالة الآن. وإذا انتظرتك حتى تنهي غذائك ربما فقدنا المريضة".

عقد حاجبيه وهو يلتقط الملف ليطالعه باهتمام قبل أن يرمقها بنظرة غيظ ويضربها بالملف على ذراعها هاتفاً -"مزعجة وسخيفة. المريضة خرجت بالفعل هذا الصباح وأنت تتخذينها ذريعة للمجيء إلى مكتبي. متى تنضجين؟"

عقدت ذراعيها أمام صدرها قائلة بتحدي -"عندما ينضج أخي الأكبر".

زمجر كعادته عند الغضب قائلاً من بين أسنانه -"ماذا تقصدين؟"

ضاقت عيناها اللوزيتين خلف عدسات نظارتها الرقيقة وهي تقترب من قامته الطويلة لتقول ببطء -"ألا تدرك ما يقوله العاملون بالمستشفى عن نائب المدير الذي لا يحلو له تناول الغذاء الا في غرفة الحاسب الآلي؟ إذا كانت سمعتك كطبيب يتعامل مع النساء فقط لا تهمك، فسمعة المستشفى تهمنا. ومن المؤكد أن سمعة الفتاة تهمها أيضاً".

عقد حاجبيه حتى التحما وهو يقترب بوجهه منها بدوره هامساً بفحيح شرس -"سأقطع لسان من يجرؤ على المساس بكرامة (ملاك) أو سمعتها".

هزت رأسها قائلة -"لا تنس أنها مطلقة. وفي مجتمعاتنا العربية تحمل المرأة وحدها وصمة هذا اللقب، وكأن الطلاق جرم وليس أبغض الحلال عند الله".

حاول الدفاع عن نفسه فابتعد عنها وهو يغمغم مبرراً -"أعلم أنها مطلقة، ولم أتجاوز حدودي معها على الإطلاق، وأنت واثقة من ذلك لأنك تعرفينني كراحة يدك".

لمست عضده بتعاطف هامسة -"ولأنني أعرفك حق المعرفة أشعر بالحيرة أمامك يا أخي. لقد سألتك يوم انفعلت لخروجها من المستشفى ماذا دهاك، لكنك لم تجبني. ومنذ ذلك اليوم يتردد هذا السؤال في رأسي كلما رأيتك".

لمحت التردد في عينيه فأردفت بحنان -"ماذا دهاك لتنجذب إليها بهذه الطريقة؟ إنك حتى لم تنجذب إلى زوجتك هكذا".

ضحك في تهكم قائلاً -"زوجتي التي لم أخترها؟ ابنة صديق أبي وصديقة طفولتك التي خسرتِها بسببي؟ عن أي زواج تتحدثين؟ عن زواج لم أسع إليه ولم يرض توقعاتي يوماً وكان فشله حتمياً؟"

غامت عيناها بالحزن لذكرى صديقتها التي لم ترها منذ انفصالها عن أخيها الأكبر، واختنق صوتها بعبرات جاهدت لتكتمها وهي تقول -"نحن لا نتحدث عن زواجك الآن. أحدثك عن (ملاك) وعن الأقاويل التي تثيرها بوجودك حولها. لقد..".

لمعت عيناه بقوة فقاطع عبارتها وهو يقول بحزم -"قلت لك سأخرس كل الألسنة. سأتزوجها".

شهقت في عنف حتى أنها اختنقت بلعابها فسعلت عدة مرات حتى أدمعت عيناها قبل أن تتمالك نفسها هاتفة -"هل جُننت؟ تتزوج (ملاك)؟"

هز كتفيه قائلاً بثقة -" وما المانع؟ روحها تجتذبني وأشعر معها براحة جديدة لم أشعر بها مع زوجتي السابقة. حتى وجبة الغذاء معها لها طعم مختلف".

هزت رأسها باستنكار هاتفة -"يا إلهي.. هل نسيت أنها خرجت للتو من أزمة نفسية عنيفة؟ كيف ستتقبل هي وجود رجل من جديد في حياتها بهذه السرعة؟"

أشاح بكفه قائلاً -"لقد بدأت تلقي العلاج النفسي منذ تعافيها من حادث الإجهاض، كما أنها تعمل معنا هنا منذ نحو ستة أشهر لم أر فيها أي دليل على أنها ما زالت تعاني من تجربتها السابقة. فهي تتعامل مع الجميع بسلاسة وتلقائية كأي فتاة طبيعية".

ضغطت هي فكيها هامسة من بينهما -"لم أقصد الزملاء يا أخي وأنت تفهم ما أعنيه جيداً".

تنحنح في حرج قائلاً -"قلت إنني سأتزوجها لكن ليس اليوم.

ستكون هناك فترة خطبة معقولة تمنع الأقاويل وتمنحها الفرصة للاستعداد لحياتنا معاً. أظن أنه لم تعد هناك أي مشكلة تمنع زواجي منها".

مطت شفتيها قائلة -"أنسيت دكتور (فهمي)؟"

زفر في قوة لتتبع هي -"إنه لم يسامحك على الطلاق وخسارة صديق عمره حتى الآن".

غمغم في حنق -"لا يمكنه أن يلومني على خطئه هو. كما أنني لن أكرر الخطأ مرتين. لقد تزوجت حسب رغبته في المرة الأولى، لكنني لن أتزوج سوى من أريد هذه المرة".

قالها ثم ما لبث أن رق صوته وهو يقول -"أنت بالذات يجب أن تكوني الأقرب إليها. فأنت أول من تبرع لها بالدماء لتطابق فصيلتكما. أي أن دماءك تجري في عروقها".

مطت شفتيها لتمنع ابتسامة شقية من الوصول إليهما قائلة -"أنت أيضاً منحتها دماءك بعد الجراحة. لكن هذا لا يعني أن أتودد إلى كل من أمنحه دمائي النادرة، ولا أن تتزوجها أنت".

قرص وجنتها يشاكسها قائلاً -"اعترفي أيتها الماكرة أنك

تحبينها وأنك أصبحت صديقتها المقربة في المستشفى".
تأوهت وهي تهرب من مجاله لتقول بمرح -"حسناً أعترف أنني أحبها، لكنني أخشى من رد فعل والدي".
ابتسم بغموض وهو يقول -"وهنا يأتي دورك".
****

(٩)

تراجعت في مقعدها وأسبلت جفنيها في إرهاق بعد عدة ساعات من العمل المرهق أمام شاشة الحاسوب، وحاولت أن تستمتع بلحظة صفاء ذهني تريحها قليلاً.

لكن هيهات أن تهنأ بها.

فذلك الثرثار داخلها كان ما ينفك يسألها بإلحاح عن سر تغيبه عن موعده اليومي.

فمنذ بدأت العمل في المستشفى بتوصية خاصة منه، أصبحت راحة الغذاء موعداً مقدساً لا يتخلف عنه إلا في حالات الطوارئ.

ومنذ الشهر الأول من العمل، استطاع بشخصيته الجذابة أن يستقطبها إلى عالمه الخاص، وأن يصبح أفضل صديق لها.

لم تؤمن يوماً بفكرة الصداقة بين رجل وفتاة، شيء ما بداخلها كان يرفض مثل هذا الشيء، ويعتبره تجاوزاً دينياً وأخلاقياً لا يليق.

لكنها معه كانت تشعر برغبة قوية في أن تطلعه على كل مستجدات يومها، وهو أيضاً كان يفتح قلبه لها ليخفف عن

نفسه متاعب العمل.

صداقتهما كانت بريئة بالفعل إلى حد لا يصدق،

لذا لم تحاول الاهتمام بما قد يُقال عنهما بين أروقة المستشفى.

فعلى أي حال، البشر لا يتوقفون عن الحديث فيما لا يعنيهم. فلماذا تأبه لهم؟

كما أنها مؤمنة بأن ما يربطهما هو شعور بالاحترام المتبادل يجعله يخشى على سمعتها أكثر من أي شخص آخر.

فهو لا يغلق باب المكتب عليهما أبداً، وكثيراً ما تأتي شقيقته معه ليتناولوا جميعاً طعام الغذاء معاً.

والأهم بالنسبة لها، هو أن تلك الصداقة ساعدتها كثيراً في جلسات العلاج النفسي وأسهمت في التعجيل بانتهائها.

فاليوم هي (ملاك) أخرى بدأت في هذا المستشفى حياتها الجديدة.

ولم لا؟ ألم ينقذ حياتها فعلياً بين جدران هذا المستشفى؟

زفرت في ضيق رغماً عنها وهي تطالع ساعة يدها للمرة العاشرة في اقل من دقيقتين، لتوقن أنه تأخر بالفعل وربما لن

يأتي.
مطت شفتيها بتبرم وأغلقت الحاسوب وبدأت تجمع متعلقاتها في حقيبتها حينما ارتفعت طرقاته المميزة على باب المكتب.
تهللت أساريرها وهي تلمح وجهه البشوش يطل عليها من فرجة الباب وقد ارتسم عليه تعبير أسف واضح واعتذاره يسبقه -"أعتذر عن التأخير. فقد علقت مع طفل مشاغب يرفض النزول بالطرق السلمية".
ابتسمت لينير وجهها الصبوح وهي تشير له بالدخول قائلة -"تفضل يا دكتور (ماهر). لا داعي للاعتذار. أعانك الله".
دلف ليلمح حقيبتها المعدة للانصراف فعقد حاجبيه متسائلاً -"هل تستعدين للانصراف؟"
أومأت برأسها إيجاباً فتابع بجدية -"كنت أريدك في أمر هام".
ارتسم الاهتمام على ملامحها فقالت في سرعة -"خيراً يا دكتور؟ بالتأكيد لن أنصرف قبل أن أستمع إليك".
تنحنح وهو يتقدم إلى منتصف الغرفة قائلاً -"أ..احم.. كنت أود أن اعرف رأيك في العمل معنا..اقصد بعد ستة أشهر

و...".

عقدت حاجبيها وتوجست خيفة من هذه المقدمة، وأول ما تبادر إلى ذهنها كان توقع إنهاء تعاقدها مع المستشفى كمسؤولة عن الملفات الالكترونية.

ولم لا؟ لقد استحدثوا هذه الوظيفة لها كما فهمت، ويبدو أن عملها لم يرق لهم.

امتقع وجهها وهي تصل إلى هذا الاستنتاج، وحاولت التماسك وهي تقول -"لماذا تسأل الآن؟ هل.. هل ستنهي تعاقدي؟"

أشاح بكفه في قوة هاتفاً -"بالطبع لا. إنك تبلين بلاءاً حسناً".

قفزت نظرات الحيرة إلى عينيها ليقول هو بتردد -"كنت أريد الاطمئنان عليك و...".

لم يبد عليها الاقتناع، لتعقد الدهشة لسانها وهي تسمعه يقول في سرعة وكأنه يخشى التراجع في قراره -"(ملاك) هل تتزوجيني؟"

حدقت بملامحه لبرهة حاولت فيها البحث عن صوتها دون جدوى، قبل أن تهمس بخفوت -"ماذا تقول؟"

أعاد طلبه بهدوء هذه المرة والابتسامة تظلل وجهه لتقول بضيق -"دكتور(ماهر) أنا لم أشف من جراح زواجي السابق بعد، وأنت أكثر من يعرف ذلك".

قال بإصرار -"لقد مر ما يزيد عن سبعة أشهر منذ طلاقك يا (ملاك)، كما أنك أنهيت علاجك النفسي منذ فترة".

زفرت في ضيق معترضة -"ما رأيته في عام من الزواج يحتاج دهراً كي أتجاوزه. بل يحتاج أن اعتزل الرجال إلى الأبد".

عقد حاجبيه مستنكراً -"حتى أنا يا (ملاك)؟ هل تخافين مني؟ ظننت أننا تقاربنا كثيراً في الفترة الماضية و..".

قاطعته بصوت خنقته العبرات -"أنت أفضل ما حدث لي في حياتي الجديدة. معك عرفت معنى الصداقة ومعنى الأمان. معك أصبحت أكثر قرباً من ربي وأكثر حرصاً على اتباع تعاليمه. أنا لا أخافك، وإنما أخشى عليك من فتاة معقدة مثلي".

ثم اتبعت والدموع تنساب على وجنتيها رغماً عنها -"أنا لا استحق شخصاً نقياً مثلك. أنت تستحق ...".

قاطعها في سرعة -"أنت لست معقدة يا (ملاك). لقد تجاوزتِ محنتك بنجاح..صدقيني. وكما بدأت من جديد في عملك هنا يمكنك بدء حياة خاصة جديدة."

ثم أتبع بتردد -"مالم يكن لديك اعتراض على شخصي".

كاد لسانها أن يفلت وتهتف به 'ليتني قابلتك أولاً'،

لكنها تحكمت في نفسها قوياً وهي تجيبه -"الاعتراض سيكون على شخصي أنا يا دكتور (ماهر)، ولا يجب أن تنس ذلك".

هم بالاعتراض لتتبع مغمغمة في ألم -"كيف يتزوج الطبيب الناجح من مطلقة ذات تاريخ نفسي ومتهمة بالنزعة الانتحارية و...".

قاطعها وهو يقترب منها بابتسامة هادئة -"هذا الطبيب الناجح مطلق هو الآخر، وأنت أصبحت أكثر اتزاناً نفسياً مني شخصياً".

ثم اتبع ولمعة عينيه تصلها بوضوح هامساً -"والأهم هو أن هذا الطبيب لم يشعر بالحب إلا معك".

أبعدت وجهها عنه كالملدوغة ووجهها يشتعل حرجاً، وهمت

باستنكار ما يقول ليباغتها باعترافه الصريح الذي أخرسها.
فقد قال بحنان ـ"أحبك يا (ملاك)".
وكان أجمل اعتراف تسمعه طيلة عمرها.

****

(١٠)

التفت الأسرة حول مائدة الطعام، في حدث نادر لا يتمتعون به إلا كل حين. ورغم ذلك بدا كل شخص منهم وكأنه يهيم في عالمه الخاص وهو يتناول طعامه في صمت.

أدار وجهه إلى شقيقته التي تجلس بجانبه طلباً للعون، لكنها حركت عينيها تستحثه على الحديث الذي بدا محشوراً في حلقه.

تنحنح ليجذب انتباه والديه قبل أن يقول بهدوء -"كنت أريد استشارتكما بأمر هام".

رفع والده رأسه في اهتمام قائلاً -"أهي حالة جديدة؟"

تنحنح ثانية وهو يبعد ياقة قميصه عن مؤخرة عنقه في توتر قائلاً-" نعم..حالة خاصة".

انتبهت الأم كذلك وهي تلمح توتر ابنها، وأدركت بفطرتها أن الأمر ليس طبياً كما تخيل زوجها. فرسمت ابتسامة هادئة على وجهها تستحثه على الحديث.

ولم يتأخر (ماهر) في عرض قضيته، إذ تبادل نظرة سريعة مع شقيقته قبل أن يفجر قنبلته بينهم -"لقد قررت الزواج".

اتسعت ابتسامة والدته وهي تهنئه في سرعة، بينما احتفظ وجه والده بتعابيره الجامدة وهو يسأله عن العروس.

عاد يتبادل النظرات مع شقيقته التي ضغطت كفه تحت المائدة لتشجعه، ثم أجابه بما استطاع العثور عليه من هدوء داخل جنباته في تلك اللحظة -"إنها مهندسة حاسب آلي و...".

قاطعه والده في صرامة -"إذاً فالأمر صحيح، والشائعات التي تملأ أروقة المستشفى ليست دخاناً من دون نار".

شحب وجهه من لهجة والده الحادة وتلعثم مدافعاً عن اختياره -" لا يوجد بيني وبين (ملاك) ما يعيب. ربما كنت أتعاطف معها قبلاً، لكنني موقن الآن أن ما يجيش بصدري نحوها مشاعر حب صادقة. وأنت تعلم جيداً أن ابنك لم يكن ليرتكب ما يغضب الله".

هتف به والده باستنكار -"وهل يعني هذا أن تغضب والدك؟"

جالت نظراته تطلب العون من عيني أمه وشقيقته قبل أن يجيبه في ثبات -"أنا لم أغضبك يا أبي، والدليل أنني تزوجت ابنة صديقك استجابة لرغبتك أنت. بل وحاولت طيلة زواجنا أن أجد أي أرضية تفاهم مشتركة بيننا تقوم عليها حياتنا

لكنني فشلت، وهي لم تحاول مساعدتي من الأساس. طلاقي من زوجتي كان حتمياً لأن الزواج كان فاشلاً منذ البداية. ورغم ذلك تصر على اتهامي بأنني السبب في فشله".

هدر والده في غضب -"ولإصلاح هذا الخطأ تتزوج من مطلقة انتحارية بدعوى أنها اختيارك الشخصي؟ أنا لا ارفض زواجك، بل أتمناه. ولكن ليس من هذه الفتاة. مستحيل".

ضغط فكيه في توتر محاولاً استيعاب ما يسمعه من والده، ثم التقط شهيقاً عميقاً وزفره قبل أن يقول موضحاً -"مع كل احترامي لك يا والدي... (ملاك) مطلقة وأنا الآخر كذلك. كما أنها أنهت علاجها النفسي وتجاوزت محنتها منذ فترة. والزواج لن يكون فورياً لأن سبب مأساتها كان الزواج المتعجل. سأمنحها بعض الوقت بعد الخطبة إلى أن تصبح مستعدة للانتقال إلى مرحلة جديدة من حياتنا سوياً".

اتسعت عينا والده وهو يستمع إليه يتحدث بثقة وكأنه عقد قرانه عليها بالفعل، فهدر في غضب ثانية -"ماذا تقول أيها المأفون؟ تتحدث وكأنك فاتحتها في الأمر وطلبت يدها رسمياً وتخبرنا فقط بمستجدات الأمور. يستحيل أن أقبل بهذا

الهراء".

ثم ما لبث أن هتف بزوجته يستقطبها إلى جانبه -"أيرضيك ما سمعت يا دكتورة (مهجة)؟ أترين كيف جُن ابننا الوحيد ووريث إمبراطوريتنا الطبية؟"

نقلت دكتورة (مهجة) بصرها بين ابنها وابنتها في هدوء، قبل أن توجه حديثها لابنها -"هل أنت جاد بالفعل هذه المرة؟ وهل أنت واثق أن مشاعرك نحوها لم تعد مشاعر شفقة؟"

أومأ برأسه في ثقة قائلاً -"وأقسم على ذلك يا أمي. مجرد رؤيتها تبعث الراحة في نفسي".

جادلته بمنطقية -"ولكن هذا وحده ليس أساس الزواج الناجح. ربما وجدت معها احد الملامح التي افتقدتها في زواجك السابق، لكنك يجب أن تكون واثقاً من قرارك هذه المرة. الطلاق ليس لعبة، والزواج ليس قميصاً تشتريه لمجرد إعجابك بلونه وتتخلص منه إذا لم يريحك فيما بعد".

هم بإجابتها حينما هتف بها زوجها مستنكراً -"ماذا تقولين يا دكتورة (مهجة)؟ إنك تشجعينه على جنونه".

التفتت إلى زوجها قائلة برصانة -"بل أوضح له ما قد يخفى

عليه يا دكتور (فهمي). هذه النظرة في عيني ابننا لم أرها في زواجه الأول. لم أرها سوى حينما أراد السفر لإتمام تعليمه في الخارج. وهذا وحده كفيل بتعزيز موقفه أمامنا".

هتف بعناد -"لكنني لن أوافق على هذه الزيجة. لن تحمل هذه الفتاة اسم عائلتي أبداً. وهذا قرار نهائي لا رجعة فيه".

ارتسم الإحباط على ملامح الشقيقين، لتقول هي بابتسامة خاصة تعرف تأثيرها جيداً على زوجها -"لا تكن مستبداً يا عزيزي. لقد اعتدنا التصويت معاً على كل قراراتنا الأسرية. ولا تنس أن زواج (ماهر) الأول تم بهذه الطريقة. وبما أنك الوحيد المعارض لاقتراح ابننا، فهذا يجعلك صوتاً واحداً مقابل ثلاثة أصوات. فأنا أصوت لصالح ابني، وهذه المشاكسة تدعمه بوضوح. أفهم نظراتها جيداً".

تخضب وجه (مها) حرجاً وهي تخفضه أرضاً بعدما كشفت والدتها موافقتها على رغبة شقيقها، بينما ظل (ماهر) يراقب الموقف بتوجس.

أما والدهما فقد هز رأسه بإصرار على الرفض لتتبع الأم بهدوء -"أعلم جيداً أنك تريد صالح ابننا، لكنه لم يعد طفلاً يا

عزيزي. لقد تجاوز الثلاثين وأصبح أكثر نضوجاً عن ذي قبل. اتركه يتزوج ممن يحب يا دكتور (فهمي)، ولا تنس أنك أيضاً تزوجت ممن أحببت".

وبدا واضحاً أن الأمر حُسم لصالح (ماهر).

****

(١١)

سارت بخطوات واثقة في ممرات المستشفى الذي زارته يوماً بين الحياة والموت، لكن حالها اليوم كان مختلفاً تماماً.

فاليوم هي ليست تلك المريضة البائسة، ولا حتى الموظفة المرتبكة التي لا تستطيع أن تخاطب أحداً وهي تنظر في عينيه دون أن تشعر بالحرج وتتلعثم كلماتها.

اليوم هي حرم الدكتور (ماهر)، نائب مدير المستشفى.

ورغم عدم ميلها للاختلاط بعد ما عانته في الماضي، ارتسمت السعادة على وجهها وهي تستقبل ترحيب الممرضات والعاملات بالمستشفى، وكأنها مازالت عضواً بين أسرتهم.

وبكل فخر، قادتها خطواتها إلى حيث مكتب حبيبها..الرجل الذي أعاد إليها الثقة مرة أخرى، وجعل لحياتها معنى من جديد. .الرجل الذي تفتحت على يديه مشاعرها لتكتشف أن قلبها مازال حياً ينبض بالحب لمن يستحقه.. الرجل الذي استطاع خلال ثلاثة أشهر من الزواج أن ينسيها الماضي.

طرقت باب مكتبه بشقاوة تعلمتها من شقيقته التي أصبحت صديقتها الوحيدة في عالمها الجديد، ولم تنتظر أن تصلها

إجابته وهي تفتح الباب في سرعة هاتفة بمرح -"مفاجأة".
هب من رقاده على أريكته الجلدية ليستقبلها بحبور قائلاً -"بل هي أحلى مفاجأة.. لقد..".
بتر عبارته وتوقف قبل أن يصل إليها حينما لمح امتعاض ملامحها والذعر الذي سرى في عينيها للحظة وهي تتلفت حولها في أرجاء المكتب.
واصل اقترابه ليحتويها بحنان هامساً -"ماذا بك يا حبيبتي؟ لماذا أجفلت هكذا؟"
تشبثت بذراعيه وهي تسأله بصوت مختنق -"ما هذه الرائحة؟"
عقد حاجبيه وحاول اكتشاف تلك الرائحة التي تتحدث عنها لكنه لم يستطع، فقال في حيرة -"عن أي رائحة تتحدثين؟"
أشارت إلى أنفها هامسة بشرود ــ"هذه الرائحة الثقيلة.. مزيج الصندل والعود.. لا يمكن أن أخطئها. لقد كان هنا".
هز كتفيها ليعيد انتباهها إليه متسائلاً -"من الذي كان هنا؟ تحدثي يا (ملاك) بالله عليك".
رفعت إليه عينين زائغتين وهمست بخفوت ــ"(صفوت)

طليقي...هذه رائحة عطره. لن يمكنني نسيانها ما حييت".
ازداد انعقاد حاجبيه وهو يحاول التقاط الرائحة دون جدوى.
شعر بالغضب يكتنفه وهي ترتجف باكية بين ذراعيه من شبح رائحة زوجها السابق، فمسد ظهرها براحته وهو يهمس من بين أسنانه مهدئاً -"اهدئي يا حبيبتي من فضلك. اجلسي وسنتحد...".
قاطعته من بين دموعها هاتفة بهيستريا -"لن أجلس..أقول لك إنه كان هنا. كان في مكتبك. هذا يعني أنه هرب من المستشفى النفسي الذي كان محبوساً به وأنه سيأتي خلفنا. أخبرتك أنه لن يتركني أهنأ بحياتي بعيداً عنه".
حاول أن يتذكر من زاره هذا اليوم منذ الصباح، لكنه واثق من أن أحداً لم يزره في مكتبه لأنه اتجه من فوره إلى غرفة العمليات ولم يغادرها إلا قبل قليل.
زفر في قوة وهو يستغفر ربه، وشعر لوهلة بالعجز وهو لا يستطيع تهدئتها، ثم ما لبث أن اتجه مسرعاً إلى مكتبه وضغط رقماً صغيراً قبل أن يقول باهتمام للطرف الآخر -"هل دخل أحد مكتبي اليوم؟"

بدا أن الإجابة على الطرف الآخر لم تقنعه، فقال بلهجة آمرة -"احضر لي تسجيلات كاميرا استقبال المستشفى طيلة الأربع والعشرين ساعة الماضية. بسرعة".

قالها وهو ينهي الاتصال بحزم ويلتقط قارورة مياه ويقدمها إليها مهدئاً -"اشربي قليلاً من الماء، وستأتي تسجيلات البوابة بعد قليل لنتأكد من أمر (صفوت) هذا".

هزت رأسها نفياً في ذعر وهي ترفض التقاط القارورة مشيحة بكفيها في ذعر -"كلا..لن أتناول أي شيء من هذه الغرفة. ربما وضع بها شيئاً كعادته".

طالعها بذهول وكأنه يرى (ملاك) أخرى...

(ملاك) التي عادت إليها هواجسها في أبشع صورة.

حينها، أدرك هول ما قاسته في تجربتها الماضية.

****

(١٢)

أمسك كوب الحليب الدافئ وقربه منها هامساً بإصرار -"من أجلي حبيبتي اشربي هذا الحليب".

رفعت إليه عينين ذابلتين من كثرة البكاء وهي تهز رأسها رافضة في صمت، فاعتدل ليسندها إلى ذراعه وهو يقرب الكوب منها محايلاً كالأطفال -"رشفة قليلة فقط..من أجلي.. هل تردين يدي؟"

تمنعت قليلاً لكنه استمر في محايلتها حتى استجابت وارتشفت القليل بالفعل، قبل أن تشيح بوجهها بعيداً هامسة بخفوت -"كفى".

مط شفتيه وهو يعيد الكوب إلى المنضدة المجاورة قائلاً بضيق -"رغم أنك لم تكمليه، لكنه أفضل من لا شيء".

توسدت صدره وانكمشت على نفسها بجانبه كطفل صغير فمسد ظهرها بحنان هامساً -"لا أدري ماذا أصابك. لقد راجعنا جميع تسجيلات المستشفى ولم نر (صفوت) هذا أو أي إشارة على دخوله مكتبي، ورغم ذلك ها أنت تعودين إلى حالة الذعر السابقة التي كانت تصيبك حالما يأتي ذكره. أؤكد

لك ان الأمر محض خيال يا حبيبتي ولم..".
قاطعته وهي ترفع رأسها في سرعة هاتفة ـ"ليس خيالاً".
ثم عادت تستكين على صدره قائلة بنشيج ـ"لا يمكن أن أخطئ تلك الرائحة المقبضة. لطالما أطبقت على أنفاسي وهو معي، حتى تمنيت لو استطيع التخلص من زجاجة العطر التي لا تنتهي. لكن الرائحة كانت ملتصقة بجلده وكأنها لا تزول".
استعرت نيران الغيرة في صدره حينما تحدثت عن علاقتها بزوجها السابق، فاعتدل يمسكها من ذراعيها في مواجهته قائلاً بغضب ـ"ماذا فعل بك ذلك الحيوان؟ لقد احترمت رغبة طبيبتك النفسية ولم أتحدث معك عنه طيلة هذا الوقت، لكنني لم أعد أحتمل. لم أعد أحتمل رؤية الفزع في عينيك كلما سمعتِ صوتاً مرتفعاً أو كلما أنتابك كابوس يحمل ذكراه. لقد أصبحت أطرق باب المطبخ وباب غرفتنا وباب أي مكان تتواجدين فيه كيلا تفزعي، ورغم ذلك تجفلين للوهلة الأولى وتحاولين إخفاء ذلك. ماذا فعل بك هذا المأفون؟"
شردت ببصرها بعيداً وهي تستعيد ذكريات ذلك اليوم رغماً عنها...

يوم جلست أسرتها مع أسرته على نفس الطاولة في حفل زفاف ابنة عمها وعرفت من سياق الحديث أن هذا الوسيم أمامها هو صديق عريس الليلة.

لم يكن مظهره الأنيق والمرتب يشي بأي خلل بداخله. فقد كان في أوائل الثلاثينات، متوسط الطول، أبيض البشرة، ذو شعر عسلي ناعم خفيف عند مقدمة رأسه، وشارب أنيق يعلو شفتيه الصامتتين، وطابع حسن عميق يقسم ذقنه العريض. حينما تحرك ليتحدث مع والدها لمحت لون عينيه المميز، وشعرت بغموض لونها الزيتوني الذي لم تره قبلاً.

كان حديثه رصيناً، وابتساماته محدودة، لكنها عزت ذلك إلى رصانته الواضحة وثقته العالية بنفسه.

فهمت أنه درس هندسة الطاقة في الولايات المتحدة، وأنه قضى بها نحو سبع سنوات، وعاد بعدها ليعمل في إحدى الشركات الكبرى بالمنطقة الصناعية في مدينة برج العرب.

ولأنها من القاهرة ولا تفقه كثيراً خارج حدودها، اعتبرت أن عمله في هذا المكان ميزة كبرى.

لا تدرك حتى الآن كيف تم كل شيء في لمح البصر، حتى أنه

قبل انتهاء الحفل كان الوالدان قد اتفقا على زيارة قريبة للتقدم رسمياً لخطبتها.

وقبل أن تعود ابنة عمها من رحلة شهر العسل، كانت قد ارتدت دبلته الذهبية وأصبحت زوجته رسمياً بعد عقد القران.

لن تنس الذهول الذي ارتسم على وجه ابنة عمها حين علمت هوية العريس، ولم يخف عليها الارتباك الذي ظلل عيني زوجها وهو يسألها بحذر -"هل أنت مقتنعة به؟"

بالنسبة لها كان الأمر أشبه بالحلم.. فخطيبها شاب تتمناه أي فتاة بوسامته ورصانته ومركزه المرموق...فلماذا لا تقتنع به؟ ولماذا لا تفرح بإجراءات الزفاف السريعة التي لا تكاد تلتقط أنفاسها بسببها.

تركت عقلها يطفو في غيبوبة الزفاف الجميلة التي تنتظرها كأي فتاة شابة تحلم بعريس وسيم يحملها على حصانه ويطير بها...إلى برج العرب.

وهناك..اكتشفت الكارثة.

اكتشفت أن هذا الرصين الهادئ مريض نفسياً، رغم أنه لم يكن كذلك قبل سفره إلى الولايات المتحدة.

فلحظه العاثر، وقعت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بعد وصوله إلى نيويورك بعدة أشهر، وسرعان ما كان ضحية للاعتقال التعسفي الذي طال كثيرين من رفاقه العرب، لا لشيء سوى كونهم عرباً ومسلمين.

لم يشفع له سجله النظيف ولا سلوكه الدمث مع أساتذته.

ولم يشفع له تفوقه واحترامه للجميع، فاعتقلوه كمجرم آثم.

ست سنوات كاملة قضاها في غياهب المعتقلات الأمريكية، عانى فيها شتى أنواع التعذيب التي أحالته إنساناً مختلفاً.

ست سنوات كاملة لم يعرف عنه أهله فيها أي شيء يطمئن قلوبهم الملتاعة.

وأخيراً حينما ثبتت براءته وأنه لا علاقة له بتنظيم القاعدة، أخلوا سراحه مع اعتذار لا يساوي الحبر الذي كُتب به.

عاد محطماً إلى بلاده يتلقى العلاج، عله يعود إلى طبيعته يوماً ما. وانتقل أهله من بيتهم في الإسكندرية إلى برج العرب لحين اكتمال علاجه حتى لا يفطن الجيران في الإسكندرية لحقيقة مرضه.

ثم، وبوسيلة ما استطاعوا العثور له على وظيفة لا يختلط

فيها بمن حوله، وبدأوا في البحث عن عروس من محافظة أخرى لا تعرف بحقيقته.

أدركت كل تلك المصائب تباعاً خلال أيام زواجها الأولى، وإن لم تعرف الحقيقة على وجه الدقة. لكنها عانت على يديه أنواع الضرب والإهانة والإذلال...والجنون.

عاشت معه جنوناً لا يطيقه بشر،

والأدهى أنها كانت منقطعة تماماً عن العالم الخارجي.

عن أمها وأبيها في القاهرة،

وحتى عن ابنة عمها التي تقيم معها في نفس المدينة.

حملها أيضاً كان عبئاً من نوع جديد.

فرغم سعادتها لأنها ستصبح أماً، لم تكن تريد ما يربطها بهذا المجنون، وبالتأكيد لا تريد لطفلها أن يكون هذا أبوه.

لن تنس يوماً رد فعله العنيف حينما علم بحملها، وكيف ضربها بقسوة واتهمها بخيانته، رغم أنه يغلق الباب الخارجي بالمفتاح عند خروجه كل يوم.

والعجيب، أنه تناسى هذا الاتهام بعد يومين وأصبح فجأة مهتماً بحملها وبطفلهما القادم.

تحملت الكثير، ولم تستطع الشكوى لوالدتها، فهو لم يكن يفارقها حينما يزورها والداها، وكأنه يضيق عليها شباكه كيلا تفلت منها. وهي كانت تفسر لهما شحوبها بهزال الحمل. لذا كان موت جنينها هو الخلاص بالنسبة لها بعد عام كامل من العذاب...عام كامل عاشته وكأنه دهر لا ينتهي.

حتى كان اليوم الذي شارفت فيه على الموت راضية، فقط لتتخلص منه ومن أي شيء يربطهما.

لكن يبدو أن الماضي لا يموت، ولا يغادرها.

توقفت عن حكايتها وهي تكفكف دمعها وتتهاوى على صدره، وكأنما استنزفتها الدموع والمشاعر والذكريات المؤلمة.

احتواها بين ضلوعه وشهقاتها تمزق نياط قلبه، والدماء تغلي في عروقه لما سمعه.

هاله أن تكون ملاكه عانت كل ذلك وحدها، وهي الرقيقة التي يخشى عليها من نسمة الهواء.

ود لحظتها لو استطاع الوصول إلى ذلك المقيت ليلقنه درساً لا ينساه، وليثأر لحبيبته مما فعله بها.

لكنه كان يدرك أنه بطبيعته المسالمة لا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى حمايتها من القادم بحياته.

لذا شدد احتضانه لها وهو يقول بحزم طغى على صوته الحنون ـ"لن يستطيع الوصول إليك وأنا على قيد الحياة. اطمئني يا حبيبتي".

وكان هذا أقصى ما يستطيعه في تلك اللحظة.

****

(١٤)

أوقف سيارته الحديثة أمام البناية التي تحتوي شقتهما في الصباح الباكر، وخرج منها بخطوات متمهلة يتمطى في إرهاق حينما أتاه صوتها اللائم ـ"(ماهر).. لا تتمطى هكذا علناً..ماذا سيقول عنك جيرانك؟"

تلفت حوله مشاكساً ـ"عن أي جيران تتحدثين؟ إنها السادسة صباح الجمعة، أي ان الجميع نيام ولن يقف احدهم في شرفته في هذا الوقت ليرى جاره الطبيب وهو يتمطى في الحديقة أمام منزله".

كتمت ابتسامتها وهي تتصنع التبرم قائلة ـ"لا أدري لماذا تصر على البقاء مع (ملاك) هنا بعيداً عن بيت الأسرة؟ على الأقل لم تكن لتقضي ليلتها وحيدة بعد ما حدث معها أمس".

أجابها بابتسامة ساخرة وهو يصعد درجات السلم ـ"أولاً أنا لم أتركها وحدها برغبتي. لولا تلك الولادة المتعسرة لما غادرتها الليلة الماضية. وثانياً هل نسيت دكتور (فهمي)؟ إنه لم يغفر لي حتى الآن زواجي منها وتفضيلي لها على ابنة صديقه التي طلقتها قبل أن اعرف (ملاك). كيف تريدين أن

اتركها معه في نفس المنزل ليؤرقها بعباراته الجارحة طوال الوقت؟"

همت بإجابته حينما عقدت حاجبيها فجأة وهي تقول بتوجس -"ترى هل نسي أحد جيرانك أن يغلق الموقد؟ أشم رائحة غاز قوية".

عقد حاجبيه بدوره وهو يقترب من باب شقته ويشعر بالرائحة تزداد في أنفه، خاصة حينما فتح الباب بالفعل لتهاجمه الرائحة بقوة، ويتبخر الكسل من جميع خلاياه.

هرع إلى الداخل وهو يهتف بشقيقته -"ابحثي عن (ملاك) ولا تضغطي أياً من أزرار الكهرباء، وسأغلق مصدر الغاز".

قالها وهو يقفز بخطوات واسعة إلى باب المطبخ القريب ليغلق المحبس ويفتح النافذة بتتابع سريع كي يضمن تهوية المكان من رائحة الغاز.

لم يكد يتنهد في ارتياح حتى أتته صرخة شقيقته مستغيثة به من الداخل، ليقفز قلبه بين ضلوعه هلعاً.

لحق بها حيث كانت تصرخ لتتسمر قدماه وهو يشعر وكأن العالم حوله توقف مع تلك الصرخة.

فما رآه في تلك اللحظة كان مشهداً لن يُمحى من ذاكرته أبداً. فأمامه كان جسد زوجته ملقى على الفراش وقد أغرقته الدماء من جرحين بالغين بمعصميها، بينما كانت شقيقته تضغط بقوتها فوق الجرحين كيلا تفقد المزيد من الدماء.

تسمرت عيناه على وجهها الشاحب الخالي من أي تعابير من أي نوع، وكأنها بما فعلته بنفسها أصبحت في مأمن أخيراً من أي أذى قد يصيبها. لكن هذا الاستنتاج بدا وكأنه سكين يمزق أضلعه ويصفعه بأنه فشل في حمايتها كما تعهد قبل ساعات، و...

خرجته صرخة شقيقته من جموده وهي تهتف به مستنجدة-" لا تقف هكذا. احضر رابطات عنقك لأربط معصميها. أسرع وإلا فقدناها".

وكأن صرختها أعادته للحياة، انتفض متجهاً إلى صوانه ليلتقط رابطتي عنق قبل أن يربطهما حول معصميها بإحكام ويجلس شاحب الوجه بجانبها وكأنما استنزفه هذا المجهود البسيط.

اقتربت منه (مها) تربت على كتفه في إشفاق هامسة -"لن

يمكننا الجلوس الآن. فلننقلها إلى المستشفى أو فلنبلغ الشرطة. الوقت ليس في صالحنا".

رفع إليها عينين شاردتين وهو يقول بصوت مختنق -"لقد فشلت في حمايتها يا (مها)، لهذا فضلت الانتحار".

عقدت حاجبيها وهي تقول مستنكرة -"لا تقل هذا. ربما كانت تعاني لحظة ضعف أمس لكنها لن تقتل نفسها بالتأكيد".

انحنى ليلتقط ورقة مطبوعة ملقاة بجوار الفراش قائلاً بابتسامة باهتة -"اقرئي هذه وستفهمين. رأيتها بوضوح حينما جلست لأربط معصمها، فالكتابة كبيرة بما يكفي لتخرق عينيّ".

التقطت الورقة لتتسع عيناها في دهشة وهي تلمح رسالتها القصيرة التي تعتذر فيها عن مغادرة العالم لأنها لا تشعر فيه بالأمان.

ذبحتها كلمات الرسالة مثلما ذبحته، وهي تشعر بأن عمل أخيها كان سبباً في فقدان زوجته التي يحبها، لكنها رغم ذلك نحت مشاعرها جانباً وهي تهتف به في حزم يتناقض وكونها أخته الصغرى -"هيا انهض واحمل زوجتك إلى المستشفى

لنسعفها. فحتى وإن كانت تحمل ميولاً انتحارية هي لا تزال زوجتك، ولن نتخلى عنها هذه المرة أيضاً. لو أنك خذلتها ولم تنجح في حمايتها فلتنجح في إنقاذ حياتها الآن".

رمقها بنظرة طويلة حملت شعوره بالاختناق الذي يكتنفه منذ رأى الورقة ودماء زوجته، قبل أن ينهض عازماً على الوفاء بوعده.

أن يحافظ عليها من أي أذى قد يصيبها.

****

(١٥)

عجيب هو أمر الإنسان، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بأحب الناس إليه.

فحينما رقدت (ملاك) أمامه على طاولة العمليات قبل عام، بذل كل ما بوسعه لينقذ حياتها، بل وتبرع بدمائه من أجلها.

أما اليوم وهي زوجته، شعر بالدماء تهرب من جسده ليحل محلها برودة غريبة تكتسحه للمرة الأولى في حياته.

لم يرهب الدماء يوماً، ولم يهتز مبضع في يده. لكنه اليوم شعر بتشنج عضلات كفه وهو يحاول خياطة جرحها، ليترك المهمة لأحد زملائه، بينما وقف هو مراقباً من بعيد.

غير أن الطامة الكبرى التي زلزلت الأرض تحت قدميه كانت خيط الدماء الذي فوجئ به يسيل من تحت الغطاء.

لم يكن مبتدئاً كيلا يدرك كنه تلك الدماء وما تعنيه، فقبل أسبوع فقط تأكدا من حملها، وكانا في انتظار اكتمال شهره الأول ليعلنا الخبر للجميع.

لكن يبدو أنهما لن يعلنا ذلك الخبر.

تحكم في غضبه وهو يقبض كفيه ويبسطهما عدة مرات قبل

أن يخاطب إحدى الممرضات قائلاً بحزم ـ"احضري معداتي الخاصة. إنها تفقد طفلها".

شهقت الممرضة رغماً عنها، بينما انتبه زميله ليقول بإشفاق ـ"لا عليك يا دكتور (ماهر). سيعوضكما الله عنه قريباً. دع عنك عملية ال...".

عقد (ماهر) حاجبيه خلف نظارته الأنيقة وهو يقول بحسم ـ"سأتولى أنا تلك المهمة يا دكتور (هشام). شكراً لمساعدتك في خياطة جرحي معصميها. يمكنك الانصراف الآن".

شعر (هشام) بالحرج، واحتقن وجهه بالدماء خلف كمامته الطبية، لكنه ابتعد قليلاً ليقول بهدوء ـ"سأظل معك لحين انتهاء الجراحة. وإن كنت أفضل الاستعانة بأشعة السونار أولاً قبل البدء في أي شيء".

ضغط (ماهر) فكيه وهو يومئ برأسه لممرضة أخرى انطلقت لتحضر جهاز أشعة الموجات الصوتية.

ومرة أخرى تشنجت كفه وهو يكشف عن بطنها بتردد، متوقعاً أن يرى كدمات جديدة كتلك السابقة، ورغماً عنه أفرج عن تنهيدة ارتياح حينما لم يجد بجلدها أي شائبة تؤكد ظنونه

القاتلة.

كانت أصعب لحظات حياته حينما رأى بعينيه ما كان ليصبح ابنه بعد شهور قليلة، لكنه لن يكون أبداً.

ورغم أنها ليست المرة الأولى التي يُجهض فيها حملاً غير مكتمل، فقد كانت أقساها جميعاً..كيف لا وهو يزيل بيديه آثار طفلهما الذي لم يُقدر له الاكتمال.

كتم دمعة عنيدة حاولت أن تغادر عينيه وهو يخلع كمامته وملابسه المعقمة، بل إنه لم يصحب زوجته في رحلتها من غرفة العمليات إلى غرفتها العادية..فما يعانيه من نيران بداخله الآن كان كفيلاً بأن يحرق المكان بما فيه.

هاهي تعيد الكرة...فتحاول قتل نفسها، وتقتل معها طفلها.

ولكن ما ذنبه هو؟

إنه يحبها بكل ذرة في كيان، ولم يؤذها يوماً، فلماذا تنتقم من طليقها في شخصه؟ لماذا تنتقم من كل الرجال فيه وفي طفله؟ لماذا؟

وظل السؤال دون إجابة.

****

(١٦)

فتحت باب مكتبه بعنف ودون استئذان، ليرفع إليها عينين ناريتين وهو يهدر بها -"كيف تقتحمين مكتبي هكذا؟!"

اقتربت لتواجهه وهي تستند بكفيها إلى سطح مكتبه هاتفة - " وكيف تبلغ الشرطة أن زوجتك حاولت الانتحار وأجهضت طفلكما؟ ألا تخشى الفضيحة؟"

نهض مبتعداً عنها وهو يجيبها في سخرية مريرة -"فضيحة؟ أي فضيحة لن تكون أكثر مرارة من أن أزيل بقايا طفلي من رحم أمه التي لم تتورع عن قتله وقتل من سبقه".

اتسعت عيناها باستنكار ليتبع هو في ألم -"في المرة الأولى صدقنا أن طفلها كان ميتاً وأن التمثيلية التي افتعلتها أمام زوجها كانت بهدف الحصول على الطلاق. منذ ذلك اليوم كانت تستحق أن تُعاقب على فعلتها، لكننا لم نفعل. وها أنذا أجرع نفس مرارة الكأس التي تجرعها طليقها قبلي لأنني ساعدتها على حسابه. أرأيت عدالة السماء؟ لهذا ينبغي أن تُطبق عدالة الأرض. واليوم دون تأخير".

أحاطت رأسها بكفيها في محاولة لاستيعاب كلماته دون

جدوى، قبل أن تقول بإصرار ـ"مازلت لا اصدق أن (ملاك) قد تفعل ذلك بنفسها وبك. هناك حلقة مفقودة، وهي التي ستظهر أنها بريئة لا ريب".

واجهها بحدة هاتفاً من بين أسنانه ـ"ولماذا تستميتين في الدفاع عنها هكذا رغم انها قتلت فرحة أخيك؟ ألم تكوني بانتظار ذلك الوليد مثلي تماماً؟ فلماذا تدافعين عنها".

هتفت بقلة حيلة ـ"لأنني واثقة من أنها لا تعاني نزعة انتحارية كما يبدو. أنت تدرك جيداً أن طفلها الأول كان ميتاً بداخلها قبل أن تأتينا بأيام. وتدرك أيضاً أنها منذ تعافيها من أزمتها وهي تبالغ في حماية نفسها، حتى أنها أصرت على شراء موقد مزود بنظام أمان كامل يعمل في حالة تسرب الغاز. فكيف لمن تفكر هكذا أن تفتح كافة شعلات الموقد وهي تدرك جيداً أنها سرعان ما ستتوقف عن ضخ الغاز؟"

عقد حاجبيه وهو يشعر بصدى كلماتها يتردد داخل جنبات عقله، لكن عناده جعله يجادلها بإصرار ـ"ربما أفسدت صمام الأمان بشكل أو بآخر قبل أن تفتح الغاز، على أمل أن يقتلها تسرب الغاز إن لم تستطع قطع شرايين يدها كما فعلت".

هزت رأسها بغيظ وهي تقول بيأس -"لا حول ولا قوة الا بالله. أنت توهم نفسك بما تقول لكنك لست مقتنعاً به".

ثم ما لبثت أن قالت في سرعة -"هل سألت نفسك كيف طبعت زوجتك تلك الرسالة وأنت لا تملك طابعة في منزلك من الأساس"؟

بُهت فعلياً هذه المرة، حتى أنه ظل يحدق صامتاً في وجهها للحظات لم يجد فيها جواباً على سؤالها، لترفع هي احد حاجبيها في زهو بعدما نجحت في زعزعة ثقته المزعومة.

اتبعت بلهجة من يقدم النصيحة -" لو أردت رأيي..اطلب من الشرطة التي تحقق مع زوجتك الآن أن تضع حارساً قوياً على باب غرفتها بدلاً من ذلك الجندي الهزيل الذي لن يصمد أمام لكمة واحدة من قبضة (صفوت) هذا. فأنا واثقة أنه خلف ما حدث لزوجتك وأنه سيعود ليكمل ما بدأه في منزلك".

وللأسف كانت على حق.

****

(١٧)

فوجئ بها تقف أمامه في ردهة المستشفى وهي تحاصره بنظراتها القوية وتقول بحزم -"احتاج للحديث معك دكتور (هشام)".

عقد حاجبيه مستفهماً -"خيراً دكتورة (مها)!! ماذا هناك؟"

أشارت تجاه مكتبها قائلة بهدوء -"أحتاج لمساعدتك في أمر ما".

صحبها إلى مكتبها وعلامات الاستفهام تطل بقوة من وجهه، ولم تتركه في حيرته طويلاً وهي تبتدره بمجرد جلوسه قائلة -"لقد توليت إنقاذ (ملاك) زوجة أخي، وأحتاج لرأيك الطبي... أو بالأحرى الشرعي".

ازدادت حيرته وهو يردد -"الشرعي"؟

مطت شفتيها وهي تحاول إيضاح فكرتها قائلة -"اقصد رأيك كطبيب درس الطب الشرعي. لقد كنت أفضلنا في هذه المادة تحديداً، لذا أطلب رأيك. كيف رأيت جرحي معصميها؟ اعني اتجاه القطع ومدى عمقه.. هل كان بيد شخص أيمن أم أعسر.. وأشياء من هذا القبيل".

لمعت عيناه باعجاب وافتر ثغره عن ابتسامة هادئة وهو يعتدل في مقعده ليسألها بدوره -"هل لديك شكوك ما"؟

طالعته صامتة فأتبع موضحاً -"لقد سألني الضابط نفس سؤالك. وتوقعت أن يسألني إياه دكتور (ماهر) لكنني أدرك ما مر به جيداً. أعانه الله".

تنهدت في عمق وهي ما زالت معتصمة بالصمت، فاستطرد -"عمق الجرح واتجاهه في المعصمين واحد، وهذا يتنافى مع فكرة أن مدام (ملاك) حاولت الانتحار كما جاء في تلك الرسالة. فالطبيعي أن يختلف اتجاه القطع وقوته إذا كانت هي من حاولت قطع معصميها، لكن هذا لم يحدث. كما أن اتجاه القطع يوحي بأن مرتكبه شخص أعسر يستخدم يده اليسرى".

قفز الحماس إلى عينيها وهي تهتف -" هذا يثبت تخميني أن (ملاك) تعرضت لمحاولة قتل مدبرة وليس انتحاراً، لا أحد منا يستخدم يده اليسرى. أراح الله قلبك كما أرحتني".

تألقت الابتسامة بعينيه وهو يتأمل فرحتها الطفولية قائلاً بلهجة خاصة -"سيرتاح قلبي حينما تريحيني".

تجمدت ابتسامتها، وبدا أنها غصت بها وهي تسعل فجأة وتقول بارتباك -"أراح الله قلوبنا جميعاً. شكراً لمساعدتك دكتور (هشام) وآسفة على تعطيلك".

أدرك محاولتها للهرب من تلميحاته المستمرة لإعجابه بها، فاكتفى بأن يتنحنح في حرج وينهض قائلاً -" بإذنك. سأذهب للاستعداد لجراحتي القادمة".

أومأت برأسها في صمت وهي تراقب خروجه من مكتبها، قبل أن تنهض في حماس إلى أخيها العنيد لتقنعه بما توصلت إليه.

****

(١٨)

ما من ألم أشق على النفس من ألم الخيانة، لاسيما إذا جاءت من أقرب الأحباب.

هكذا سيطرت تلك الفكرة على عقلها، تماماً مثلما سيطرت على عقله قبلها...

فكما استنكر هو ما رآه محاولة انتحار من جانبها، استنكرت هي أن تفيق فجأة لتجد نفسها في مستشفاه بدلاً من فراشهما، وقد أحاط الرباط الطبي بمعصميها بشكل يوحي بأنه ضماد ما.

لم يكن هذا مبعث استنكارها، وإنما انفراج باب غرفتها عن ضابط شاب وشرطي وطلبهما أخذ أقوالها في الاتهام المنسوب إليها...

فزوجها العزيز يتهمها بمحاولة الانتحار والتخلص من طفلهما...اتهامين قاسيين لا تدر كيف تبادرا إلى ذهنه في المقام الأول.

صدمة الموقف ألجمت لسانها، فهي لم تكن استوعبت بعد سبب وجودها بالمستشفى، حينما فاجأها الضابط بأمر فقدان

طفلها وجرحي معصميها.

لم تلجم لسانها فحسب، بل ألجمت عقلها أيضاً وجعلته أشبه بحاسوب معطل لا يستجيب لأوامر مستخدمه.

آخر ما تتذكره أن رأسها كان متوسداً قلب (ماهر) وأنها غفت على صوت دقاته الرتيبة بعد ليلة أنهكها فيها البكاء والخوف.

لا تذكر أي شيء بعدها البتة...فكيف قطعت هي شرايين يدها كما يقولون؟ ولماذا؟

رغماً عنها ساورتها الشكوك في أن تكون قد فعلت ذلك بنفسها حقاً... لا تستبعد أي رد فعل منها حينما يتعلق الأمر ب(صفوت) وخوفها الغريزي منه.

فما رأته في ذلك العام كفيل بأن يفقدها عقلها، لولا أن كُتب لها عمر جديد بخلاصها من تلك الزيجة

لكن أيعقل أن تكون فعلت هذا بنفسها حقاً؟

أيعقل أن يكون عقلها الباطن قد سول لها الانتحار هرباً من مواجهة (صفوت)؟

ربما لهذا السبب اتهمها (ماهر) بتلك الاتهامات؟ ولكن كيف

طاوعه قلبه على اتهامها في بلاغ رسمي؟ ماذا عن تعهده بحمايتها بحياته؟ كيف يصدق أنها قد تتخلى عن حياتها معه لأي سبب؟ بل كيف يصدق أنها قد تفرط في جزء منه استوطن أحشائها وكانت تتوق لحمله؟

لم تستطع الخروج من دوامة التفكير التي زادت من شعورها بصداع بشع، وبالطبع خرج الضابط من غرفتها خاوي الوفاض بعدما عجزت عن تفسير ما حدث لها.

وبقيت هي في غرفتها تتجرع مرارات عدة تكالبت لتهاجمها بضراوة.

ومن أعماق قلبها هتفت تناجيه دون صوت ألا يتركها..فهي تحتاجه...حقاً تحتاجه.

****

(١٩)

اقترب واضعاً كفيه في جيبي معطفه الطبي الأنيق، وتوقف أمام الحارس قائلاً بثقة ـ"أريد الاطمئنان على المريضة".

انتفض الحارس واقفاً ينفض عن عقله آثار النوم وشد قامته وهو يقول بصرامة مفتعلة ـ" من أنت؟ هل لديك تصريح بمتابعة الحالة؟"

تنهد الطبيب الشاب بضجر قائلاً ـ"أنا الطبيب المنوط بمتابعة حالتها يا هذا".

قال الحارس بإصرار وقد غادرته علائم النوم تماماً ـ"كل من يدخل إليها يحمل تصريحاً من مدير المستشفى، وقد زارتها الممرضة عند منتصف الليل. ارني تصريحك أولاً أسمح لك بالدخول".

ارتسمت ابتسامة غريبة على ملامح الطبيب الذي هز رأسه متفهماً وهمس بلهجة غريبة ــ"حسناً. هل يكفيك هذا التصريح؟"

قالها وهو يسحب كفه الأيسر من جيب معطفه في سرعة ليغرز ما به بجانب الحارس المسكين قائلاً بتشفي ـ"أنت

أجبرتني على ذلك يا هذا".

وضع كفه الآخر على فم الحارس ليكتم صرخته وهو يطعنه مرة أخرى في صدره مستغلاً تأخر الوقت وهدوء الممر في ذلك الوقت المتأخر من الليل.

لم ترتجف شعره في جسده وهو يغرس مديته في صدر المسكين، وكأنه اعتاد على ذلك. بل إن وجهه لم يحمل أي تعابير توحي بتأثره بإزهاقه روح للتو، وكأنها ليست أول روح يزهقها.

ببرود، جذب جسد الحارس على أرض الممر الرخامية كأنه يجذب جوال قطن غير مكبوس، قبل أن يقذفه بإهمال داخل غرفة مهمات التنظيف التي درس موقعها جيداً وهو يضع خطته.

أغلق باب غرفة المهمات بحذر، ثم ما لبث أن عدل من هندامه في حركة نرجسية وهو يتجه إلى هدفه

إلى غرفتها

وبكل هدوء...فتح الباب.

****

(٢٠)

اقتربت ممرضة شابة من مكتب مديرة الطابق لتبتدر زميلتها الأكبر سناً قائلة في هيام -" يالها من إدارة تلك التي تشترط الوسامة في كل الأطباء العاملين بها".

عقدت زميلتها حاجبيها مستفهمة -"ماذا تقصدين؟ الوسامة لا تنطبق سوى على دكتور (ماهر) ودكتور (هشام) الجراح ودكتور (لؤي) طبيب العيون. فعن أيهم تتحدثين بهذا الهيام؟"

ارتسمت ابتسامة والهة على وجه الفتاة وهي تجيبها بثقة -"وجه جديد تماماً. رأيته قبل قليل وسألني عن غرفة زوجة دكتور (ماهر)..أخبرني أنه الطبيب الذي سيتولى حالتها".

ازداد انعقاد حاجبي زميلتها وهي تسألها في حذر -"هل أنت واثقة من ذلك؟ لم يخبرنا دكتور(فهمي) أو دكتور (ماهر) عن أي طبيب جديد. ثم لماذا يتولى هذا الطبيب الجديد حالة السيدة (ملاك) دون غيره؟ لقد كانت دكتورة (مها) معها حتى قبل منتصف الليل بقليل، وأعتقد أنها ستبيت معها في نفس الغرفة".

هزت الفتاة كتفيها وهي تقول بلامبالاة ـ" وما أدراني؟ هكذا أخبرني حينما سألته عن سر وقوفه في الممر دون حراك".

نهضت الأخرى في سرعة وهي لا تخفي قلقها محذرة ـ"قلبي يحدثني أن بالأمر شيء ما. هاتفي دكتور (ماهر) ليأتي إلينا وسأذهب لأتفحص غرفة زوجته. هيا تحركي".

سألتها في فضول وقد انتقل إليها توتر زميلتها ـ"فيم تفكرين؟ لقد أخفتني بحديثك هذا".

التفتت إليها موضحة بنفاذ صبر ـ"أنا أقدم الممرضات بالمستشفى، ولهذا طلبني دكتور (ماهر) كي اقضي الليلة هنا إلى جانب زوجته، كما أن شقيقته تعتني بها أفضل من أهلها. فلماذا يطلب من طبيب حديث كما تقولين أن يعتني بزوجته؟ ناهيك عن كونه رجل من الأساس. ألا تعلمين مدى غيرة دكتور (ماهر) على زوجته؟ لقد سمح لدكتور (هشام) بصعوبة أن يتولى خياطة جرح معصميها كما اخبروني. صدقيني أنا أكثر من يجيد قراءة دكتور (ماهر)، ولهذا أقول لك استدعيه فوراً، وابتهلي بداخلك ألا تكون مخاوفي صحيحة".

قالتها وهي تهرع في اتجاه غرفة (ملاك) وتبتهل ألا ترى أبشع هواجسها حقيقة أمامها.

فمجرد وجود جندي حراسة أمام باب الغرفة كان دليلاً كافياً على أن تلك المريضة بالداخل إما تواجه خطراً خارجياً على حياتها، أو أنها تمثل خطراً على الآخرين.

ولعلمها بشخصية (ملاك)، كان الاحتمال الأول اقوي لديها، وهذا ما جعلها تشعر أنها في سباق مع الزمن.

****

(٢١)

حاول الاسترخاء على الأريكة في مكتبه بعد خروج شقيقته، لكن شعوراً غامضاً كان يكتنفه ويجثم على أنفاسه. لم يكن مبعث هذا الشعور ما قالته شقيقته قبل قليل عن حالة زوجته النفسية السيئة، ولا توبيخها له لأنه لم يزرها حتى الآن رغم مرور أكثر من نصف يوم على إفاقتها.

ربما تضايق قليلاً من حديثها ولكن هذا الشعور داهمه فجأة بعد خروجها..شعور أقرب إلى قبضة باردة تعتصر صدره وتعيق أنفاسه عن تدفقها الطبيعي.

غير اتجاه نومه، عله يشعر ببعض الراحة، دون جدوى.

تناول هاتفه الذكي وجرت سبابته على شاشته مستكشفاً آخر تطورات مواقع التواصل الاجتماعي التي لا يجيد التعامل معها، ولكنها بدت في تلك اللحظة وسيلة إلهاء ممتازة للخروج من حالة الاختناق تلك.

ورغم ذلك استمر الاختناق، بل وشعر به يتزايد دون تفسير مفهوم، حتى أنه اعتدل جالساً على الأريكة محاولاً التقاط شهيق عميق، في اللحظة التي ارتفع فيها طرق متعجل على

باب مكتبه جعله يجفل ودقات قلبه تتسارع كخيول في مضمار سباق.
رغماً عنه وضع كفه اليمنى على قلبه، وكأنه بهذا يهدئ ذلك الخافق المرتجف، داعياً الطارق إلى الدخول.
انزاح الباب كاشفاً ممرضة شابة قالت بتردد -"رئيسة التمريض تريدك يا سيدي. يبدو أنها ترتاب في أمر ما".
قفز من جلسته، وبخطوة واحدة كان يعبر الباب إلى جانبها وكل ذرة في جسده تنضح بتوتر يتزايد مع كل خطوة يخطوها باتجاه غرفة زوجته، ثم ما لبث التوتر أن انسحب عن خلاياه ليحل محله غضب هادر مع كل كلمة تنطقها الممرضة في وصف ذلك الطبيب غريب الأطوار.
كل كلمة كانت تؤكد له أن ملاكه كانت على حق، وأن هذا اللعين كان يترصدهما منذ فترة، هنا في المستشفى وفي المنطقة التي يقيمون فيها.
كاد يهتف بحرقة لاعناً غبائه الذي لم يصدقها، وشكوكه التي لاحقتها واتهمتها بأنها لم تعد تحبه.
ثم ما لبث أن وجد لسانه يبتهل إلى الله كي يصل في الوقت

المناسب، قبل أن ينجح ذلك الوغد في هدفه.

تأكدت مخاوفه حينما وطأت قدماه أول الممر المؤدي إلى غرفتها، ولم يلمح الحارس في موقعه على الباب، فأسرع الخطى بحركة غريزية وكأن قلبه أصدر أوامره لقدميه لتهرع إلى غرفتها...

لكن صرخة قوية أوقفته في منتصف الردهة.

صرخة أوقعت قلبه في قدميه وأكدت له أنه جاء متأخراً...

للأسف.

****

(٢٢)

شعور طاغ بالملل اكتسحها، ولم تفلح قناة المنوعات التي تركتها (مها) تصدح في فراغ الغرفة في تغيير ما تشعر به.

أهو الملل حقاً أم الخواء؟ أم هو العدم؟

لماذا تشعر وكأن عالمها ينهار من حولها، بل لقد انهار بالفعل.

ما زالت لا تصدق أن (ماهر) لم يأت لرؤيتها حتى الآن. تشعر وكأن جداراً ضخماً ارتفع ليحول بينهما فجأة بعدما كانا روحين تحلقان سوياً في سماء السعادة.

وفي أعماقها، عاد ثرثارها يهزأ بها... من أخبرك أنك ستعيشين حياة طبيعية كبقية البشر؟ منذ تزوجتِ (صفوت) اختلفت حياتك جذرياً. أصبحت فتاة أخرى أثقلتها الهموم والشكوك والأوجاع. ووجود (ماهر) لا يعني انتهاء تلك الأوجاع، وإنما تحولها إلى شكل جديد.

يبدو أن ذلك الثرثار على حق... فبعد أن كان (صفوت) هو مصدر الوجع بساديته وأسلوبه غير السوي، أصبح تجاهل (ماهر) لها مصدر وجعها الجديد.

آاااه يا (ماهر)... لو أنك تأتي لدقيقة... فقط دقيقة تسمعني فيها وتدرك أنني لم أكن لأتخلى عن حبنا لأي سبب، ولم أكن لأفرط في شيء يجمعنا سوياً.

تزايد شعور الخواء والعجز بداخلها حتى أصبح يجثم على أنفاسها، وزاد صوت التلفاز من اختناقها. حاولت التخلص من صوته المزعج، لتكتشف أن جهاز التحكم بعيد عنها، فاكتفت بأن تدير ظهرها له مستسلمة لتلك الحالة من اليأس القاتل.

ربما غفت عيناها، أو ربما رأف بها سلطان النوم مداعباً أجفانها... لا تدر حقاً ماذا حدث، ولكن صوت باب الغرفة جعلها تفتح عينيها بغتة وتقول للقادم دون أن تلتفت إليه ـ"جئت في وقتك يا (مها). بالله عليك أغلقي التلفاز، إنه مزعج للغاية و....".

بترت عبارتها فجأة وهي تستدير في هلع بعدما تسللت تلك الرائحة المقبضة إلى أنفها. وقبل أن تفرج حنجرتها عن صرخة استغاثة كانت كفه تطبق على فمها ويأتيها صوته معاتباً في همس أشبه بالفحيح ـ"لماذا يا ملاكي؟ لماذا

تركتني؟ ألم نسعد معاً؟ لقد قضيت معك أسعد أيامي... وكنت أعد نفسي للمزيد من السعادة بعد وصول طفلنا. لماذا قتلته؟ ما ذنبه؟ لو أنك تعاقبينني على أي ذنب في حقك فلماذا يدفع هو الثمن"؟

هزت رأسها في رعب تحت كفه، ليتبع هو في مرارة -"لماذا يعاقبني الجميع دون ذنب؟ في أمريكا عاقبوني دون ذنب اقترفه، فقضيت أجمل سنوات شبابي خلف القضبان كمجرم عتيد. وأنت تعاقبيني بقتل صغيري؟ لماذا؟ هل أنا بكل هذا السوء حقاً أم أنه حظي السيئ"؟

سالت دموعها تبلل كفه، لتزيده هستيريا وهو يهتف من بين أسنانه -"توقفي.. لا تبكي.. لا أريد دموعك. لن تنجحي في استدرار عطفي بها. لن أنس يوماً أنك قتلت طفلي الذي كنت أنتظره وكنت أنسج الأحلام لمستقبله. ولن أنس أنك فضلت ذلك الطبيب على حياتنا معاً. كنت تظنين أنني سأتركك تنعمين معه..هاه... هيهات يا زوجتي العزيزة..فأنا لا أتنازل عن ممتلكاتي أبداً. وكما ساعدك في قتل طفلي، حرمته أنا الآخر من طفله... العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم".

ثم اقترب بوجهه منها لتلهب أنفاسه وجهها وهو يتبع بمزيد من الحقد ـ"لن تكوني له يوماً يا ملاكي. فإما تكونين لي أو للقبر".

قالها وكفه الأخرى تطبق على عنقها الرقيق بهدف واحد...

أن تقطع صلتها بالحياة...

****

(٢٣)

هرعت بخطوات سريعة_حسبما سمحت كتل الشحوم التي تغطي جسدها_ في اتجاه الغرفة المنشودة، وهي تدعو الله في سرها ألا تكون مخاوفها صحيحة.

ولكن مع اقترابها، تحركت الهواجس بصدرها، لاسيما عندما لم تجد الحارس واقفاً في مكانه أمام الباب، لتشعر بالخطر.

ألهمتها سرعة بديهتها لأن تبحث بعينيها عن أداة هجوم صالحة، فلم تجد سوى زجاجة مطهر وبعض الأدوات الطبية تركتها ممرضة مهملة على طاولة معدنية بجوار غرفة أخرى.

التقطت زجاجة المطهر في يد ومقصاً رفيعاً في اليد الأخرى وهي تدرك جيداً أنها لن تستطيع استخدام القوة أمام المهاجم، فلتستخدم عنصر المفاجأة إذاً.

فتحت فوهة زجاجة المطهر وأمسكتها بقبضتها اليمنى جيداً وهي تقترب من الغرفة بحذر كيلا يصدر حذائها صوتاً ملفتاً.

لكنها ما أن وقفت بباب الغرفة شبه المفتوح ورأت ذلك الذي يرتدي معطف الأطباء يكتم أنفاس مريضتها حتى أطلقت

صرختها رغماً عنها وهي تتراجع إلى الممر، وكأنها لم تتوقع ما رأت.

صرختها جذبت انتباه (صفوت) الذي ابتعد للحظة عن سجينته التي كانت تدفعه بمرفقيها بوهن بعدما تمزقت غرز معصميها وتسللت دماؤها تلوث الضماد الطبي وملابسها.

أما هو فاستدار بملامح شيطانية تعكس ما ينتويه من سوء لتلك الدخيلة التي قطعت انتقامه، ويقترب منها في صمت.

كانت لحظة حاسمة سيكون للمتحرك الأول فيها الغلبة بالتأكيد، ولحسن الحظ كانت هي الأسرع وهي تلقي بمحتويات زجاجة المطهر في وجهه، غير عابئة بصرخة الألم التي انبعثت من حلقه، ولا بكفه الذي لطمها بقوة لتقع أرضاً رغم حجمها الضخم.

تشوشت الرؤية لديهما في نفس الوقت تقريباً...هو بسبب المطهر الحارق الذي غزا عينيه بشراسة، وهي بسبب الدوار الذي اكتنفها حينما اصطدم رأسها بالأرض حال وقوعها.

الألم الذي سببه المطهر في عينيه كان يدفعه للجنون، حتى أنه تخلى عن حذره وهو يصرخ في غيظ ويحاول تعديل

اتجاهــه ليعـود إلــى (مــلاك) التــي أخرســها الرعـب وألــم معصميها، فاكتفت بالـدموع التـي سـالت علـى وجنتيهـا فـي صمت، وكأنهـا تنتظـر المـوت علـى يديـه، فلـم يعد لـديها مـا تخسره.

لكـن فارسـها ظهـر علـى بـاب الغرفـة فجـأة ليعاجل (صفوت) بلكمة أودعها مخزون حقده وغيظه وغضبه، ونجحت بالفعل في زعزعة اتزانه ليتراجع خطوتين إلى داخل الغرفة.

لـم يمنحـه (مـاهر) الفرصـة ليسـتعيد اتزانـه، وإنمـا تبعـه إلـى الغرفة ليلكمه ثانية بحقد أكبر صارخاً ـ"ماذا فعلت لك؟ لمـاذا لا تتركني وزوجتي في سلام"؟

اعتدل (صفوت) من أثر اللكمة الثانية ومسح اثر الدماء عن وجهه قائلاً بفحيح مجنون ـ"ولن أترككما في سلام ما حييت. لقد قتلتما طفلي، ولابد أن أنتقم له".

قالهـا وهـو يشـهر مديتـه التـي قتـل بهـا الحـارس قبـل قليـل، ويشـيح بهـا فـي وجـه (مـاهر) مهدداً، لكـن الأخيـر نجـح فـي تفاديها وهو يتراجع بظهره مبتعداً.

كـان بإمكانـه الإفـلات حتـى النهايـة وإنهـاء المعركـة لصـالحه،

لاسيما وأن أثر المطهر كان ما زال يلهب عيني خصمه، لكن حركته السريعة جعلت قدمه تزل في بقايا المطهر على الأرض الرخامية، ليسقط أرضاً أمام (صفوت).

خصمه الذي واتته الفرصة للانتقام من الجميع.

وبكل سهولة.

****

(٢٤)

تهادت بخطواتها الرقيقة حاملة كوباً من النسكافيه الساخن، تأمل أن يساعدها في البقاء مستيقظة طوال الليل، بعد أن تجاوزت فترة يقظتها ٣٦ ساعة.

لا تنكر أن ذهابها إلى كافيتريا المستشفى كان محاولة منها للابتعاد عن مجال شقيقها وزوجته، لاسيما بعدما أمطرته بوابل من الكلمات القوية تستحثه على الذهاب إلى زوجته والاهتمام بها وبحالتها النفسية السيئة و...

"أمازلت مستيقظة"؟

أجفلت على صوته الهادئ وهو يسألها بإشفاق حنون، فالتفتت بحدة لتلين ملامحها ويتضرج وجهها خفيفاً وهي تجيبه بتلعثم -"أ..أمازلت هنا؟ لماذا لم تعد إلى منزلك"؟

ارتفع حاجباه في دهشة من تساؤلها المرتبك، ثم ابتسم وهو يجيبها ببساطة -"كنت على وشك المغادرة بالفعل حينما رأيتك، ففكرت أن أطمئن منك على السيدة (ملاك)".

تغيرت ملامحها للحظة قبل أن تجيبه بهدوء مصطنع -"بخير.. زوجة أخي بخير. لقد تركتها لأحضر شيئاً منبهاً،

فلا أظن أن أياً منا سينعم بالنوم الليلة".
تنهد في عمق قائلاً بأسف -"أعانها الله على ما تواجهه، فالألم النفسي والجسدي اليوم لا يوصف".
أومأت برأسها موافقة في صمت، قبل أن تحاول التحرك قائلة بحرج -"بإذنك. لا ينبغي أن أتركها وحدها أكثر من ذلك".
استوقفها بحركة سريعة قائلاً -"لحظة من فضلك. في كل مرة أنوي الحديث معك أتراجع في آخر لحظة، لكنني لن أتراجع اليوم. دكتورة (مها)..أنا معجب بك وأريدك زوجة لي".
جمدتها الصدمة في مكانها فظلت تطالعه مبهوتة للحظات، بينما يتحرك صدره صعوداً وهبوطاً في سرعة كأنما أنهى للتو سباق اختراق الضاحية.
فجأة عاد إليها الإدراك، وأنها سمعت قبل لحظات عرضاً بالزواج من طبيب وسيم ترتاح إليه وتعلم جيداً أنه تعدى مرحلة الإعجاب بها إلى مرحلة الهيام. وكأنما أصدر عقلها أمراً واجب النفاذ لجميع دماء جسدها، لتحتقن في وجهها البيضاوي الرقيق، بينما علق لسانها في سقف حلقها يمنعها عن الرد ببنت شفة.

تأمل الاحمرار الذي يغزوها أمامه بعنف، ليزيدها فتنة في عينيه، واطمأن قلبه نوعاً ما لأن رد فعلها اقتصر على الخجل والصمت.. ألا يقولون إن الصمت علامة الرضا؟ فماذا يريد أكثر؟

هم بالطرق على الحديد وهو ساخن، ليستغل خجلها لصالحه، حينما باغتتهما جلبة قوية صادرة من استقبال المستشفى وأصوات تخبط غير مفهوم.

أنقذتها تلك الجلبة من بئر الخجل الذي ألقاها به (هشام) بكل بساطة قبل قليل، فلملمت ما تبقى من أعصابها المختلجة محاولة أن تُكسب صوتها بعض القوة وهي تتجه نحو الجلبة هاتفة بأول حارس أمن تقابله -"ماذا حدث"؟

أجابها الحارس دون أن يلتفت إليها وهو في طريقه إلى سلم الطوارئ -"أحدهم يحاول قتل دكتور (ماهر) في الطابق الثالث".

صرخت في لوعة -"أخي".

لكن الحارس لم يسمعها.

****

(٢٥)

حينما سقط على ظهره، تعلقت عيناه بنصل المدية في يد غريمه الذي اغتنم الفرصة وهوى بها قاصداً قلبه. لكن بقايا دروس الدفاع عن النفس، أو ربما هي غريزة البقاء، جعلته يتحرك في سرعة ليُحكم قبضته على كف (صفوت) في قوة هامساً من بين أسنانه -"لن أمنحك ما تريد أيها الوغد".

ضغط (صفوت) فكيه في حقد واشتعلت نظراته وهو يحاول دون جدوى السيطرة على كفه المعتقلة في قبضة (ماهر)، قبل أن يطبق كفه الآخر على عنق (ماهر)، ليصبح ثقله فعلياً موزعاً بين قبضة (ماهر) وعنقه.

كانت الحركة مباغتة، وشعر (ماهر) ببوادر الاختناق بالفعل وصوت الممرضة الشابة يتناهى إليه من بعيد يصرخ طلباً للنجدة من أمن المستشفى.

لكن صوتاً آخر هو من حرك الوحش الخفي بداخله، والذي لم يكن يعلم بوجوده.

صوت (ملاك) الخافت الذي أتاه متقطعاً كأنه يأتي من بئر سحيق، ليس بسبب عطب بأذنيه، وإنما لأنها كانت بالفعل

خائرة القوى وهي تهمس باسمه بصوت متهدج.
ورغم ضعفها، لمحها تتحامل على نفسها وتنهض من فراشها مترنحة محاولة إنقاذه بأي شيء، متجاهلة الدماء التي تلوث معصميها وملابسها.
مرآها في هذا الوضع بث الدماء من جديد في أوردته، وجعله يتحرك بشكل مباغت ومدروس فيرفع رأسه عن الأرض لتصطدم بجبهة (صفوت) بكل قوة، قبل أن يدفع ثقله بعيداً عن جسده وينهض ليلكمه من جديد في وجهه الذي بدلت الندوب والدماء ملامحه.
ترنح (صفوت) بفعل اللكمة، وتراجع قليلاً إلى الخلف، ليجد (ملاك) أمامه، وتداعبه فكرة الانتقام ثانية. برقت عيناه بجنون وهو يعتقلها بين ذراعيه ليتخذها درعاً وهو يتراجع باتجاه النافذة قائلاً بضحكة هستيرية -"ودع حبيبتك أيها الطبيب الفاشل، فلن تراها بعد اليوم".
توترت عضلات (ماهر) واعتصر قبضتيه في قهر وشعور العجز يعاوده في ضراوة، في اللحظة التي تدافع فيها رجال أمن المستشفى على باب الغرفة شاهرين أسلحتهم النارية في

وجه (صفوت) الذي لم تتحرك شعره من رأسه أمامهم. بل على العكس تماماً، فقد نصب قامته قائلاً باعتداد وكأنه يأمر جنوده ـ" تراجعوا عن طريقي وإلا قتلتها".

وللمرة الأولى، انتبه (ماهر) إلى أن المدية لم تغادر كف (صفوت) بعد، وأنه يصوبها نحو رقبة ملاكه التي بدت مستسلمة تماماً لمصيرها، وقد نافس شحوبها لون قميصها الذي كان ابيضاً.

تجمد الجميع في تحفز، وملأ التوتر فراغ الغرفة، ليشمل أيضاً (مها) التي وقفت تراقب الموقف بوجل وكفها يتشبث بذراع (هشام) دون وعي، وقد طغى صوت دقات قلبها الفزعة على أي صوت آخر.

كاد التجمد يستمر طويلاً، لولا أن شعر (ماهر) برسالة ما ترسلها عيني ملاكه. لم يفهمها تماماً، وإنما خمن فحواها وهو يراها تتداعى أمامه أرضاً في تهالك أربك (صفوت) الذي تحرك رغماً عنه محاولاً الإمساك بها قبل أن يرتطم جسدها بالأرض الباردة.

وكانت هذه الحركة كافية ليتحرك (ماهر) سريعاً فيلتقط

زوجته من بين براثن الوحش، في اللحظة التـي فقد فيهـا أحد حـراس الأمـن تماسكه ليطلـق النـار علـى (صـفوت)، فيصـيبه ويخر أرضاً غارقاً في دمائـه.

لينتـهي هذا الكابوس.

****

(٢٦)

انتهى من مراجعة آخر حالاته لهذا اليوم، فتمطى بتكاسل وهو يطالع صورة ملاكه على مكتبه، لترتسم ابتسامة حنون على وجهه، وتظلل عينيه نظرة حب لا يمكن أن تخطئها عين.

رغماً عنه قفز عقله إلى ذلك اليوم البعيد الذي أوشك على فقدانها فيه بسبب مهووس يصر على قتلها كيلا تنعم بحياتها بعيداً عنه، لولا أن الله أحاطها بعنايته، وسقط ذلك المأفون صريعاً تحت قدميها...

أو هكذا تظن هي.

فما أن رأته (ملاك) يسقط تحت قدميها حتى انتابتها حالة هستيرية ولسانها لا يردد سوى تساؤلها الهستيري -"هل مات؟"

لولا احتواءه لها لسقطت أرضاً من فرط تضارب مشاعرها، وهو ما شعر به بوضوح مع تخاذل ساقيها عن حملها وشعوره بثقلها كله على ذراعيه.

شدد من احتواءه لها وخرج بها من الغرفة إلى غرفة مجاورة

قادتهما إليها الممرضة الشابة، بينما يهمس هو في أذن زوجته بأن الكابوس قد انتهى وأن عذابها قد ولى.

في قرارة نفسه كان يتمنى أن يكون محقاً، ولأول مرة يتخلى عن شرف مهنته ويتمنى لو يلفظ غريمه أنفاسه بالفعل، رغم أن إصابته ليست بليغة. لذا لم يهتم باقتراب الدكتور (هشام) من (صفوت) الذي فقد وعيه، ولم يهتم بالجلبة التي حدثت بعدما شق صوت الطلق الناري صمت منتصف الليل. فكل ما كان يشغله في تلك اللحظة هو (ملاك)...كيف عانت، وكيف ظلمها، وكيف يمكنه محو ساعات العذاب والألم الأخيرة من ذهنها، و....

خرج من ذكرياته على صوت طرقات يعرف إيقاعها جيداً، فقال بهدوء -"ادخلي يا (مها)".

انفرج الباب عن وجه شقيقته الرقيق وهي تسأله في حيرة -"هل طلبت رؤيتي حقاً؟ أخبروني في الاس..".

قاطعها وهو ينهض إليها قائلاً -"أجل طلبت رؤيتك.. ادخلي يا شقيقتي المشاكسة".

عقدت حاجبيها للحظات وهي تغلق الباب خلفها، قبل أن تتجه

لتجلس بجانبه على الأريكة الجلدية التي يعتبرها (ماهر) منزله الثاني.

وقبل أن يخبرها عن سبب استدعائه، ابتدرته هي بتساؤل متردد -"هل من أخبار عن (صفوت)"؟

تنهد في عمق قائلاً -"لا جديد بعد أن اعتقلته الشرطة وأودعته مستشفى الأمراض النفسية والعصبية تحت الاختبار للتأكد من قواه العقلية. أعتقد أن جرح الطلقة لم يكن عميقاً، ولابد أنه شُفي الآن".

عادت تسأله -"وهل اعترف في التحقيقات بكيفية اقتحام بيتك دون أن يترك أثراً"؟

تنهد ثانية، وخُيل إليها أنها تلمح بعض الدماء تحتقن في وجهه وهو يجيبها من بين أسنانه -"اتضح أن ذلك الوغد كان يراقبني ويراقبها منذ فترة لا تقل عن الشهر. استطاع معرفة عاداتي ومواعيدي وكل شيء يتعلق بي وكأنه مدير أعمالي، بل واستطاع دخول مكتبي أكثر من مرة، للأسف بمساعدة حارس الأمن الذي أطلق عليه النار.. ذلك الوغد الآخر خان واجبه بحمايتي وحماية المستشفى في سبيل

المال، وسمح ل(صفوت) بالتجول في المستشفى دون رقيب. كانت (ملاك) على حق حينما رفضت شرب الماء من ثلاجتي الخاصة ذلك اليوم خوفاً أن يكون به شيء مخدر أو أي من هذا القبيل. فقد اكتشف رجال المعمل الجنائي أنه وضع بقوارير المياه مواد مخدرة كانت كفيلة بتدمير مستقبلي الطبي وربما شطبي من سجلات الأطباء إذا تناولتها، والحمد لله أنني لم أشرب شيئاً من الثلاجة خلال هذين اليومين".

اتسعت عيناها وهي تنصت إليه، قبل أن تسأله مستفهمة
-"وماذا عن الحارس الذي أطلق النار على (صفوت)"؟

مط شفتيه باستياء قائلاً -"ما زال رهن الاعتقال وجاري التحقيق معه. لقد ظن أنه بإطلاق النار على (صفوت) سيموت السر معه".

عمت الدهشة ملامحها وهي تنصت إليه، وشعور غريب يكتنفها وكأنها تشاهد فيلم حركة رديء الصنع.

ابتلعت دهشتها مع لعابها الجاف، لتسأله ثانية -"وكيف دخل منزلك"؟

حك مؤخرة رأسه بحرج ومط شفتيه وهو يجيبها -" أنت

تعرفين عادتي السيئة في ترك شرفة غرفة المعيشة مفتوحة صيفاً أو شتاءاً لأنعم برائحة الزهور من الحديقة التي تطل عليها الشرفة. بالطبع لم أتخيل أن يستطيع ذلك الجبان أو غيره أن يتسلق شرفة الدور الثاني، لاسيما وأننا في مجمع سكني يُفترض فيه أنه أكثر أماناً من أحياء القاهرة العادية. لكنه قدرنا.. الحمد لله أنه لم ينجح في فعلته".

هزت رأسها وكأنها مازالت تحاول استيعاب ما قاله، قبل أن تقول بإشفاق -" و(ملاك) تظن أن الرصاصة قتلته. أليس كذلك"؟

أومأ برأسه في إيجاب موضحاً -" لم أُرد أن أصدمها بأنه مازال على قيد الحياة. ربما كان اعتقادها موته سبباً في تحسن حالتها قليلاً خلال اليومين الماضيين. سأعيدها اليوم إلى منزلنا وأصحبها في رحلة استجمام بعيداً عن جو القاهرة".

وافقته في حماس -"حسناً تفعل يا أخي.. أحياناً أتمنى لو أن (هشام) لم يعالج ذلك المجنون وتركه ليلقى حتفه ويريحنا من شروره، لكن ضميري الطبي سرعان ما يقرعني ويلومني

على ذلك".

لاحت ابتسامة جانبية على شفتيه وهو يقول بهدوء -" نفس أمنيتي، لكن ماذا نفعل؟ (هشام) كان أسرع مني وأنقذه. على أي حال هذه بشارة جيدة. فهذا يعني أنه يملك قلباً رحيماً يجعله لا يتوانى عن مساعدة المحتاج، حتى وإن كان أقذر المخلوقات".

لا تدرِ لماذا شعرت بأن هذه الجملة تحمل في طياتها معنى آخر، لكنها آثرت التظاهر بالبراءة، تماماً كما تفعل كلما رأت (هشام) وحاولت التهرب منه.

وفي تلك اللحظة، كانت على وشك إتباع نفس الإستراتيجية التي تجيدها...الهروب، لكن (ماهر) ابتدرها وهي تهم بالنهوض قائلاً بلهجة خبيثة -"(هشام) فاتحني في أمر ارتباطكما، لكنني أخبرته أن الدكتور (فهمي) لن يوافق، وأن لديه تصور مختلف عن الرجل الذي يستحق ابنته الوحيدة".

شحب وجهها للحظات قبل أن تندفع الدماء إليه بقوة وهي تهتف باعتراض -"وما الذي ينقص (هشام) عن باقي الرجال"؟

ارتفعت ضحكته الغائبة تجلجل في فضاء المكتب، حتى طفرت الدموع من عينيه أمام نظراتها المندهشة، وقبل أن تسأله عن سر تلك الضحكة التي افتقدتها خلال اليومين الماضيين كان يقول بخبث -"مرحى يا فتاة.. يبدو أن لدينا محاربة جديدة في الأسرة".

انتبهت فجأة إلى خدعته البسيطة التي انطلت عليها كالعادة وصدقتها كالبلهاء، لتجد نفسها تلكزه في كتفه بغيظ قائلة من بين أسنانها -"متى تتوقف عن تلك الحيل السخيفة"؟

ضحك ثانية وهو يحيط كتفيها بذراعه بحنان ويقبل جبهتها مهنئاً -"مبارك لك يا شقيقتي الوحيدة. لن أجد لك زوجاً أفضل من (هشام)، ولم تكوني لتعترفين بموافقتك إلا بهذه الطريقة".

دفنت وجهها في كتفه لتكتم ابتسامتها السعيدة، وهي تدرك جيداً أنه على حق، وأنها حقاً الوسيلة الوحيدة لتعترف بموافقتها على (هشام) أمام الجميع.

******

(٢٧)

انطلقت نغمات الموسيقى الحالمة في منزل دكتور(فهمي) احتفالاً بخطبة ابنته الوحيدة على دكتور(هشام)، واللذان تألقا كأجمل ما يكون في تلك الليلة، وكأنما منحتهما السعادة الخالصة ملامح أكثر جمالاً.

لكنهما لم يكونا الثنائي المتألق الوحيد...

فقد تألقت (ملاك) في فستان أرجواني رقيق احتضن جسدها في نعومة ليزيد من جمال بشرتها الحليبية ورشاقة قدها.

بدت عروساً أخرى لا تقل جمالاً عن عروس الليلة، ولكن بجمال مختلف وهي تتأبط ذراع (ماهر) في سعادة، وقد تألقت في عينيها نظرة جديدة..نظرة أمان حقيقية بعدما غادرها شبح (صفوت) إلى الأبد منذ أقل من شهرين تقريباً.

بالطبع لم تكن استعادتها لسلامها النفسي سهلة ولا سريعة. فقد مرت بفترة عاودتها فيها الكوابيس ثانية وصورة (صفوت) وهو يصارع (ماهر) لا تفارقها، وفي كل مرة يوقظها صوت الرصاصة التي كانت طوق نجاتها في الحياة.

كانت شكوك (ماهر) بها ما تزال تؤرقها وتؤلمها، لكن

احتوائه لها واعتذاراته المتكررة أخبرتها كم عانى هو الآخر.
حاول كثيراً خلال رحلتهما إلى العين السخنة أن يزيل بحبه من عقلها أي اثر لأزمة الثقة التي داهمتهما بقسوة، ونجح إلى حد بعيد في ذلك.
لم تتركها (مها) بعد عودتها من الرحلة، ولا والدي (ماهر) اللذان أذهلاها بمدى تعاطفهما معها، وشعرت أنه ربما كان هذا الحادث سبباً في أن تصبح علاقتها بأسرة زوجها طبيعية كما ينبغي أن تكون.
أكثر من شعر بالذنب فيما حدث لها كان والديها اللذان شعرا بندم متزايد لأنهما كانا السبب في كل ما حدث لابنتهما الوحيدة منذ ظهور(صفوت) في حياتهم.
لكنها لم تعد تأبه بكل ما حدث..ربما عانت الكثير حقاً، وربما شعرت في كثير من الأحيان بأنها لم تعد (ملاك) البريئة المنطلقة، وإنما أضحت أشبه بنصف امرأة، ونصف إنسان.
لكنها اليوم، وبعد أن تحررت نهائياً من شبح (صفوت)، وبعد أن شعرت بكل هذا الحب ممن حولها، وبعد أن رأت بعينيها كيف خاطر (ماهر) بحياته من أجلها، لم تعد نصفاً، وإنما

عادت امرأة أقرب ما تكون إلى الطبيعية.. عادت (ملاك) من جديد... ولم تعد نصف (ملاك).

هزت رأسها وكأنما توقظ نفسها من تلك الذكريات التي لا تريدها، وانتبهت على إشارة من العروس تريدها، فاعتذرت لزوجها بلباقة لتذهب إليها.

تابعها ببصره وعيناه لا تحيدان عنها، وكأنما يتمنى لو يستطيع إخفائها داخل عينيه وحراستها برموشه. فمازال قلبه يرتجف خوفاً عليها كلما ابتعدت عن ناظريه، لاسيما وأن غريمه الوغد مازال على قيد الحياة، حتى وإن كان خلف القضبان، و...

أخرجه اهتزاز الهاتف في جيبه من أفكاره، فانتحى جانباً إلى الشرفة والتقطه ليجيب المتصل وينصت له في اهتمام.

عقد حاجبيه للحظات قبل أن تنفرج أساريره بوضوح، وبدا وكأنه يريد احتضان المتصل، أو ربما يتقافز فرحاً كالأطفال.

فما سمعه عبر الأثير كان أسعد خبر بالنسبة له في هذا الوقت تحديداً.

فقد زال الكابوس حقاً، ولم يعد مجرد وهم في خيال زوجته أو

أمنية يتمناها.

اقترب منه والده حينما لاحظ ابتسامته الواسعة وبريق عينيه الواضح وهو يتحدث في الهاتف، وكأنه طالب يتلقى نتيجة تخرجه بامتياز.

لم ينتظر التفسير كثيراً، فما أن أنهى (ماهر) الاتصال حتى استدار إلى والده يخبره سره بسعادة بالغة -"لقد زال الكابوس يا أبي... زال إلى الأبد".

عقد دكتور (فهمي) حاجبيه في دهشة ليتبع ابنه موضحاً -"لقد انتحر (صفوت) في مستشفى الأمراض العقلية اليوم بعدما علم أنه سيحال إلى المحاكمة. لم يصدقوا ادعائه أنه مختل عقلياً وقرر الأطباء تحويله إلى السجن واستكمال التحقيق معه، والذي كان سيؤدي إلى إدانته بالتأكيد مع سبق الإصرار والترصد. وبالطبع لم يتحمل ذلك وقطع شرايين معصميه، تماماً كما فعل مع (ملاك). لكن الفارق أنه تعمد فعلها والجميع نيام، لذا لم ينقذه أحد. لم أكن أتخيل أنني سأسعد يوماً لموت شخص.. لكن هذا الوغد يستحق".

اتسعت عينا والده وهو ينصت إليه، ثم مالبث أن تنهد قائلاً

-" لا حول ولا قوة إلا بالله. شاب في مقتبل حياته يُقدم على الانتحار بعدما دمر حياته وحياة طليقته. والأدهى أننا نحتفي بموته وكأنه لم يكن".

هز (ماهر) رأسه ودافع عن نفسه قائلاً -" أنا لا اشمت في موته يا أبي، ولم أتخل عن إنسانيتي كرجل وطبيب، وبالتأكيد لم أكن أتمنى الموت له، لولا أنه الحل الوحيد لأنعم أنا وزوجتي بالأمان من جديد. لقد عانينا الكثير بسببه، وفقدت طفلي الذي كنت أتمناه بسببه، وطالما ظل حياً لم أكن لأنعم بيوم من الراحة أنا أو زوجتي".

ثم أتبع وهو يشير إلى زوجته من بعيد هامساً بحب -" انظر إليها.. انظر إلى سعادتها وتألقها اليوم بعد مرور أقل من شهرين على الحادث. إنها أفضل حتى من (ملاك) التي تزوجتها. أتدري لماذا؟ إنه شعور الحرية الذي تعيشه للمرة الأولى منذ زمن، فقط لأنها تظن أن كابوس (صفوت) اختفى من حياتها. لو لم أتركها على اعتقادها بأنه قُتل في ذلك اليوم لما رأيتها الآن هكذا. والحمد لله أنه انتهى بالفعل ولم يعد الأمر مجرد كذبة أوهمها بها لتحيا بشكل طبيعي. لقد أكد لي

الضابط المسؤول عن القضية وفاته قبل قليل، وأن جثته سيتم تشريحها قبل أن يستلمها ذويه لدفنه".

تنهد والده ثانية وأشاح بوجهه بعيداً ليقول بصوت مختنق ـ"لا أدري لماذا أتعاطف مع تلك الأسرة التي تكبدت ثمناً فادحاً لخطأ لم ترتكبه. تراودني مشاعر غريبة إزاء والديه".

عقد (ماهر) حاجبيه وأمارات الاستنكار تكسو وجهه، ليضيف والده موضحاً ـ"لا أنفك أضع نفسي في موقف تلك الأسرة البائسة التي بذلت قصارى جهدها في سبيل أن يتم وحيدهم تعليمه في الخارج، لكن سفره كان نقمة عليهم جميعاً، وعلى نفسه في المقام الأول. لماذا يفقد هذا الشاب اليافع مستقبله وحياته دون جريرة؟ لا تنظر إلي هكذا، فأنا أتحدث بقلب الأب. ماذا لو كانوا أخذوك مثله حينما كنت تدرس هناك؟ ماذا لو اعتقلوك لمجرد أنك عربي بدعوى أنك تناصر الإرهاب؟ ماذا لو عاقبوك على طموحك العلمي ورغبتك في النجاح لمجرد أن ملامحك لا تشبههم؟ هل فهمت الآن لماذا أشعر بالألم لمقتله؟ (صفوت) لم يكن شيطاناً يا ولدي، ولم يختر أن يسلك هذا الطريق. لا أقول إنه كان ملاكاً، فلا يوجد ملائكة

على الأرض. لكنه مثلنا جميعاً.. إنسان ضل الطريق ولم يعرف كيف السبيل إلى العودة".

قالها وتنهد في عمق وهو يتأمل زوجة ابنه تتصرف بطبيعية بالداخل قائلاً -" لا تفقد إنسانيتك، ولا تجعل كراهيتك له ولما فعله تُنسيك أنه كان ضحية مثلك تماماً. وتذكر دائماً أنه لا يوجد خير مطلق أو شر مطلق".

هز (ماهر) رأسه متفهماً وهو يتأمل بدوره زوجته تتمايل بابتسامتها المتألقة على أنغام الموسيقى الحالمة التي يرقص عليها العروسان.

استأذن والده ليتجه إليها ويأخذها بين ذراعيه ويتمايل معها وعيناه لا تفارق عينيها الجميلتين ولمعة السعادة بهما، والتي شعر بها تتغلغل إلى شغاف قلبه فتمنحه السعادة صافية رقراقة كنبع صاف. دفن وجهه في شلال شعرها الناعم ليتنسم عبيره الخاص هامساً في أذنها بوله -"أحبك يا ملاكي".

وبداخله، همس عقله -" صدقت يا أبي... لا يوجد خير مطلق أو شر مطلق. فكلاهما كامن بدواخلنا، يظهر حين تستدعيه الظروف. ولكن يبقى بداخل كل منا نصف ملاك".

*****

تمت بحمد الله

صدر من هذه السلسلة:

١_ حقيقة حب	رباب فؤاد
٢_ ذات الوشاح الأخضر	رانيا حجاج
٣_ نصف ملاك	رباب فؤاد
٤_ حكاية سرية	عبير قائد
٥_ حارسة القصر	ميرفت البلتاجي

عزيزة مونرو عدد خاص رانيا حجاج